

الحجبة والبرهان

على

حرمة دخول البرلمان

جمع وتقديم

أحمد بن حنبل
في فضائل
البرهان



Al-Farooq

مؤسسة الفاروق للإنتاج الإعلامي

الحجة والبرهان

على

حرمة دخول البرلمان

جمع وتقديم

أحمد فؤاد عشوش

المقدمة

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى وبعد ..

لقد أوهم السلفيون والإخوان جموع متبوعيهم بأن المشاركة في "الشرك الديمقراطي" الشرك السياسي والعمل الحزبي جائز للمصلحة وهذا كلام متهاافت وفساد وباطل بنص أقوال العلماء المشهود لهم مثل الشيخ "سليمان بن سحمان" وهو من هو علماً واجتهاداً وتحريماً للحق ونصرةً له كما عرف ذلك عنه - رحمه الله - وهو من أكبر وأشرف علماء الدعوة النجدية يتصاغر بجانبه من هو دونه .

فطلاب العلم والدعاة الموجودون تطيح كفتهم وتطيش إذا ما وزنت بهذا الجهبد العلامة وقد عرض - رحمه الله - لشبهة المصلحة والمفسدة فيما يتعلق بتحكيم القوانين الوضعية ونصب حاكم يحكم بغير ما أنزل الله بحجة أننا لا نقوى على تحكيم الشرع أو أننا إذا حكمنا الشرع ودعونا إليه قتل بعضنا بعضاً لأن هناك من لا يرضى بحكم الشرع وهذه مفسدة تفضى إلى قتال المسلمين فيما بينهم - بين من يجذون الشرع ومن يرفضونه - فأجاب - رحمه الله - بما أفاد وأجاد وفصل وبين بما لا مزيد عليه في رسالته النافعة " كلمات في الطاغوت " وهي موجودة في آخر المجلد العاشر من كتاب "الدرر السنية" .

وإرغاماً للمجادلين وقطعاً لحجة المبطلين الذين قالوا : إنا وجدنا شيوخنا فاعلين ففعلنا، وقائلين فقلنا وداعين إلى الشرك السياسي فدعونا .

نسوق هذه الرسالة لعل الله - عز وجل - يفتح بها قلوباً عمياً وأذاناً صماً

فهذا عالم فذ جهبد لا يوازنه شيوخم مجتمعين محدثين وفقهاء وبالطبع فلا مكان لوعاظ السلاطين فإنهم عند العد لا يحتسبون وعند الله لا يذكرون .

فالله في أنفسكم فإنكم تحاولون تسويد النهار وتبييض الليل فأنى لكم أن تدركوا هذه الغاية، لا والله لا أجد لكم مثلاً إلا كما قال الله تعالى " كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه " .

فما جهدكم إلا إلى ضياع وسوف تحصلون بعد الجهد عناء الندم ولا ينفعكم يومها ندم، يقول الواحد منكم "يا ليتني عملت بالشرعية"، "يا ليتني اتخذت مع النبي سبيلاً"، "يا ليتني لم أتخذ الديمقراطية سبيلاً"، "ما أضلني إلا دعاة الشرك السياسي دهاقين المصلحة والمفسدة والتي هي صناعة الهوى منذ زمن اليهود"، أيها المسلم الآن عجل بنصرة الشريعة وارفح لواء الحق وسر على درب النبي - صلى الله عليه وسلم - .

فوالله الذي لا إله إلا هو لا طريق إلى الجنة إلا طريقه - صلى الله عليه وسلم - وغير طريقه لا يؤدي إلا إلى النار . طريق القوانين الوضعية وإعطاء حق التشريع للبشر من دون الله لا يكون إلا شركاً ولا يؤدي إلا إلى النار أعاذنا الله جميعاً منها .

وهذا هو رفيق درب الشيخ "سليمان بن سحمان" وهو الشيخ "محمد بن ابراهيم" -رحمه الله- بين السبيل بالكتاب والسنة ليتبين للمسلمين الرشد من الغي فيما يتعلق بتحكيم القوانين الوضعية وذلك برسائله المباركة "تحكيم القوانين الوضعية" التي بين فيها الشيخ -رحمه الله- حكم تحكيم القوانين الوضعية وصور تحكيمها وحقيقة كفر الواضعين لها الحاكمين بها فأجاد وأفاد وأقام الحجة وقطع حجة المعاند المتكبر والجاهل المتعصب وأثار السبيل لمن جاء بعدهم فصارت رسالته علماً على الطريق لمن أراد السلوك والإستقامة على الصراط المستقيم ، فتمسكوا بها ودعوكم من أقوال زاغة عن أدلة الكتاب والسنة واتخذت الهوى مصدراً للإستدلال فأصححها بالهوى يصلون وبالهوى يجولون ، وهم يعلمون أنهم مبدلون وعن الصراط ناكبون ولربهم عاصون ولنبههم مخالفون ، فهم مخالفون للكتاب مختلفون فيه كل يفرح بما ظفر، وكل حزب بما لديه فرحون، فرقوا دينهم، وصاروا شيعا، ينتصر بعضهم بالنصارى، وبعضهم ينتصر بالعلمانيين الذين يرون الخروج على شريعة النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- إلى دين هوبز ولوك وروسو ومنتسكيو كلاهما نسي التوحيد والكتاب والسنة وأقوال العلماء ومنهج السلف ، وصار احتكامهم إلى التشابه من أقوال بعض العلماء، وذلك ديدنهم، ولو ردوا التشابه إلى الحكم لتبين لهم السبيل وهدوا إلى الصراط المستقيم .

فـ "لابن باز" -رحمه الله- أقوال قوية جداً في الحكم على العلمانية والديمقراطية والقومية التي يتغنى بها في يومنا الإخوان والسلفيون

فقد أخرج الشيخ "ابن باز" -رحمه الله- رسالته "نقد القومية العربية" وفيها بين حكم القومية والدعوة إليها وكلامه مشهور معلوم في حكم سائر المناهج الكفرية كالديمقراطية والشيوعية وغيرهما .

وأقدم للقراء رسالة الشيخ "ابن باز" -رحمه الله- "نقد القومية العربية"

ليقف الشباب المسلم على حكم هذه المذاهب الباطلة الهدامة التي يعرف عورها جميع المسلمين فضلاً عن الحركة الإسلامية.

لقد جاء زمان كانت تنكر فيه الدعوة السلفية في مصر على الإخوان صنيعهم في ولوج الشرك الديمقراطي ،

فأخرج الشيخ "سيد غباشي" رسالته الشهيرة "ابلاغ الحق إلى الخلق"

رسالة في حكم المشاركة في مجلس الشعب المصري.

وقد تتبع فيها الشيخ "سيد غباشي" شبهات الإخوان ومن يرون دخول المجالس ففندوها وردّها بأدلة الكتاب

والسنة واقتفى فيها أثر شيخ الإسلام "ابن تيمية" والشيخ "محمد بن عبد الوهاب" و"علماء دعوة نجد" وهي

رسالة قوية وجيدة في بابها أقدمها للقراء كثرات تاريخي خلفية الصراع بين العقيدة الإسلامية والليبرالية السياسية

حيث كان الصراع متحداً في الثمانينيات بين السلفيين والإخوان بشأن الديمقراطية والليبرالية السياسية ،

ولذلك أخرج الشيخ "سيد غباشي" رسالته سالفة الذكر ولم يعترض عليها أحد من شيوخ "الدعوة السلفية" ثم

تلاه الشيخ "سعيد عبد العظيم" بكتابه عن الديمقراطية "الديمقراطية في الميزان" وقد وضع فيه موقفه وموقف

الدعوة السلفية من الديمقراطية ويكفى أن أشير هنا إلى جملة واحدة من كلام الشيخ "سعيد عبد العظيم" عن الديمقراطية وهي كلمة شهيرة عنه وهي "الديمقراطية دين عند أصحابها"

فهل السلفيون عند أقوالهم سالفة الذكر؟

وهل ما زالوا يتمسكون بمواقفهم السابقة؟

أقول من شديد الأسى والأسف أن الديمقراطية صارت ديناً عند السلفيين قبل الإخوان ، وما ارتكبه الإخوان في ثمانين عاماً ارتكبه السلفيون في أقل من عشرة أشهر.

وإننا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

اللهم اهْدِ قَوْمِي ورددْهم إلى الحق رداً صريحاً صحيحاً لا لبس فيه ولا عوج وارفع عنا غمامة الديمقراطية ونجنا بفضلِكَ من شركها ومن شركها وثبتنا على دينك واجعلنا من العاملين لدين الإسلام بهدى الإسلام ونوره.

وبعد فدونك أيها القارئ هذه الرسائل القيمة فاعتنى بها قراءةً وفهماً وتدبراً وليعلم الأتباع الذين كانوا يتسائلون من هم سلفكم في موقفكم؟

نقول سلفنا القرون الثلاثة الأولى وكل علماء المسلمين العاملين

كـ "ابن سحمان" و"محمد بن ابراهيم" و"ابن باز" وغيرهم فيما هو مدون واضح.

وأقول للشيخ "سعيد عبد العظيم" على وجه الخصوص : عد إلى موقفك الواضح فقد عرفناك قوالاً بالحق داعياً إلى الشريعة مناضلاً ضد الديمقراطية وغيرها من مذاهب الكفر والضلالة، كن رائداً في الحق، وكن عند قولك "لا يغرنك الكثرة" إن الأمر أوضح من أن يشتهه عليك.

هذه نصيحة اقتدتها الحجة في الله ولولا ذلك لم أنصحك والله يغفر لك.

ولقادة الإخوان والسلفيين أقول : اتقوا الله في أنفسكم، اتقوا الله في أتباعكم، ستسألون عن أنفسكم وعنهم، واعلموا أن من سن في الإسلام سنة سيئة فعلية وزررها ووزر من عمل بها، واعلموا أن اليوم عمل وغداً حساب وإلى الله المشتكى وعنده الموعد وهو الحكم العدل وإلى الله ترجع الأمور

كتبه

أحمد فؤاد عشوش

رسالة الشيخ "سليمان بن سحمان" - رحمه الله -

[كلمات في بيان الطاغوت ووجوب اجتنابه]

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه كلمات في بيان الطاغوت، ووجوب اجتنابه، قال الله تعالى: {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} سورة البقرة آية: 256.

فبين تعالى أن المستمسك بالعروة الوثقى، هو الذي يكفر بالطاغوت؛ وقدم الكفر به على الإيمان بالله، لأنه قد يدعي المدعي أنه يؤمن بالله، وهو لا يجتنب الطاغوت، وتكون دعواه كاذبة.

وقال تعالى: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} سورة النحل آية: 36.

فأخبر أن جميع المرسلين قد بعثوا باجتناب الطاغوت، فمن لم يجتنبه فهو مخالف لجميع المرسلين، قال تعالى: {وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى} سورة الزمر آية: 17

.. ففي هذه الآيات من الحجج على وجوب اجتنابه وجوه كثيرة؛ والمراد من اجتنابه هو بغضه، وعداوته بالقلب، وسبه وتقييحه باللسان، وإزالته باليد عند القدرة،

ومفارقتة، فمن ادعى اجتناب الطاغوت ولم يفعل ذلك فما صدق.

وأما حقيقته والمراد به، فقد تعددت عبارات السلف عنه، وأحسن ما قيل فيه، كلام ابن القيم رحمه الله تعالى، حيث قال: الطاغوت ما تجاوز به العبد حده من معبود، أو متبوع، أو مطاع؛ فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه، غير الله ورسوله، أو يعبدونه من دون الله، أو يتبعونه في غير بصيرة من الله، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله؛ فهذه طواغيت العالم، إذا تأملت، وتأملت أحوال الناس معها، رأيت أكثرهم ممن أعرض عن عبادة الله إلى عبادة الطاغوت، وعن طاعته ومتابعة رسوله، إلى طاعة الطاغوت ومتابعته، انتهى.

وحاصله: أن الطاغوت ثلاثة أنواع: طاغوت حكم، وطاغوت عبادة، وطاغوت طاعة ومتابعة؛ والمقصود في هذه الورقة هو طاغوت الحكم، فإن كثيرا من الطوائف المنتسبين إلى الإسلام، قد صاروا يتحاكمون إلى عادات آبائهم، ويسمون ذلك الحق بشرع الرفاقة، كقولهم شرع عجمان، وشرع قحطان، وغير ذلك، وهذا هو الطاغوت بعينه، الذي أمر الله باجتنابه.

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاجه، وابن كثير

في تفسيره: أن من فعل ذلك فهو كافر بالله، زاد ابن كثير: يجب قتاله، حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله.

قال شيخ الإسلام: ولا ريب أن من لم يعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله على رسوله فهو كافر؛ ومن استحل أن يحكم بين الناس بما يراه هو عدلا من غير اتباع لما أنزل الله فهو كافر؛ فإنه ما من أمة إلا وهي تأمر بالحكم بالعدل؛

وقد يكون العدل في دينها، ما رآه أكابرهم، بل كثير من المنتسبين إلى الإسلام، يحكمون بعاداتهم التي لم ينزلها الله، كسوالف البوادي، وكأوامر المطاعين في عشائرتهم، ويرون أن هذا هو الذي ينبغي الحكم به، دون الكتاب والسنة، وهذا هو الكفر.

فإن كثيرا من الناس أسلموا، ولكن مع هذا لا يحكمون إلا بالعادات الجارية، التي يأمر بها المطاعون في عشائرتهم؛ فهؤلاء إذا عرفوا أنه لا يجوز لهم الحكم إلا بما أنزل الله، فلم يلتزموا ذلك، بل استحلوا أن يحكموا بخلاف ما أنزل الله، فهم كفار، انتهى.

وفيه بيان كفر الحاكم نفسه، والمتحاكمين على الوجه الذي ذكره، وكذا من لم يعتقد وجوب ما أنزل الله، وإن لم يكن حاكما ولا متحاكما، فتأمل؛ ذكره عند قوله تعالى:

{وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ} سورة المائدة آية: 44

وقال ابن كثير، رحمه الله، في قوله تعالى: {أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ} سورة المائدة آية: 50؛

ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله تعالى، المشتمل على كل خير وعدل، الناهي عن كل شر، إلى ما سواه من الآراء والأهواء، والاصطلاحات التي وضعها الرجال، بلا مستند من شريعة الله، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الجهالات،

وكما يحكم به التتار من السياسات، المأخوذة من جنكسخان الذي وضع لهم كتابا مجموعا من أحكام، اقتبسها من شرائع شتى، من الملة الإسلامية، وفيه كثير من الأحكام أخذها عن مجرد نظره، فصار في بنيه يقدمونه على الحكم بالكتاب والسنة؛ ومن فعل ذلك فهو كافر، يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله، فلا يحكم سواه في كثير ولا قليل، انتهى.

وما ذكرناه من عادات البوادي، التي تسمى "شرع الرفاقة" هو من هذا الجنس، من فعله فهو كافر، يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله، فلا يحكم سواه في قليل ولا كثير.

وقد قال الله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ} الآيات إلى قوله: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا} [النساء: 60-61]

قال الشعبي: "كان بين رجل من اليهود ورجل من المنافقين خصومة، فقال اليهودي: نتحاكم إلى محمد صلى الله عليه وسلم، عرف أنه لا يأخذ الرشوة، ولا يميل في الحكم. وقال المنافق: نتحاكم إلى اليهود، لعلمه أنهم يأخذون الرشوة، ويميلون في الحكم. ثم اتفقا على أنهما يأتيان كاهنا في جهينة، فيتحاكما إليه، فنزلت {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ} الآية؛

وقيل نزلت في "رجلين اختصما، فقال أحدهما: نترافع إلى محمد صلى الله عليه وسلم، وقال الآخر: إلى كعب بن الأشرف؛ ثم بعد ذلك ترافعا إلى عمر بن الخطاب، فذكر له أحدهما القصة، فقال للذي لم يرض برسول الله صلى الله عليه وسلم: أكذلك؟ قال: نعم، فضربه بالسيف فقتله، فنزلت الآية".

وهكذا ينبغي أن يفعل بالمتحاكمين إلى الطواغيت؛ فإذا كان هذا الخليفة الراشد، قد قتل هذا الرجل، بمجرد طلبه التحاكم إلى الطاغوت، فمن هذا عادته التي هو

عليها، ولا يرضى لنفسه وأمثاله سواها، أحق وأولى أن يقتل، لردته عن الإسلام، وعموم فساده في الأرض. فإنه لا صلاح للخليقة، إلا بأن يكون الله معبودها، والإسلام دينها، ومحمد نبيها الذي تتبعه، وتحاكم إلى شريعته، ومتى عدم ذلك عظم فسادها، وظهر خرابها.

فقوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ} سورة النساء آية: 60. ، بيان بأن من زعم الإيمان بالله وبرسوله، وهو يحكم غير شريعة الإسلام، فهو كاذب منافق، ضال عن الصراط المستقيم، كما قال تعالى: {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} سورة النساء آية: 65.

فأقسم بنفسه: أن الخلق لا يؤمنون، حتى يحكموا الرسول صلى الله عليه وسلم في جميع موارد النزاع؛ فإذا حكم انتفى الحرج باطنا، وحصل التسليم الكامل ظاهرا؛ فمن لم يحصل منه ذلك فالإيمان منتف عنه.

وقد تظاهرت الأدلة الشرعية، بالدلالة على ذلك، فذم الله في كتابه من أعرض عن حكم رسوله، قال الله تعالى: {وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ

وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} سورة النساء: 48-49-50-51

واعلم: أنه ما دعا داع إلى حق، إلا كان للشيطان شبهة عنده، يصد بها الناس عنه، ومن ذلك أنه إذا قيل لأهل الطاغوت: ارجعوا إلى حكم الله ورسوله، واتركوا أحكام الطواغيت، قالوا: إنا لا نفعل ذلك إلا خوفا من أن يقتل بعضنا بعضا، فإني إذا لم أوافق صاحبي، على التحاكم إلى "شرع الرفاقة" قتلي أو قتلته.

فالجواب أن نقول: يظهر فساد هذه الشبهة الشيطانية، بتقرير ثلاثة مقامات:

المقام الأول: أن الفساد الواقع في الأرض، من قتل النفوس، ونهب الأموال، إنما هو بسبب إضاعة أوامر الله، وارتكاب نواهيه، كما قال تعالى: {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ} سورة الروم آية: 41.

المفسرون من السلف (البر) أهل العمود من البوادي، (والبحر) أهل القرى.

أخبر تعالى: أن ظهور الفساد في البادية والحاضرة، سببه أفعالهم؛ فلو أنهم عبدوا ربهم، وحكموا بنبيهم، لصلحت أحوالهم، ونمت أموالهم وأنفسهم، كما

قال تعالى: {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} سورة الأعراف آية: 96.

قال تعالى: {أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} سورة الاعراف: 51-52.

فأخبر: أن الرحمة في هذا القرآن، فمن اكتفى به عن أحكام الباطل، فهو المرحوم، ومن أعرض عنه إلى غيره، فهو الخاسر؛ فإذا أعرض الناس عن كتاب ربهم، وحكموا غير نبيهم، عاقبهم الله بأن يعادي بعضهم بعضا، ويقتل بعضهم بعضا، كما قال تعالى: {وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ} سورة المائدة آية: 14.

ولكن لما عاد الإسلام غريبا كما بدأ، صار الجاهلون به، يعتقدون ما هو سبب الرحمة، سبب العذاب، وما هو سبب الألفة والجماعة، سبب الفرقة والاختلاف، وما يحقن الدماء سببا لسفكها، كالذين قال الله فيهم: {وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} سورة الأعراف آية: 131.

وكذلك الذين قالوا لأتباع الرسل: {إِنَّا نَطَّيَّرُكُمْ بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ} قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ إِنَّ دُكْرَكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ} سورة يس: 18-19. ؛

فمن اعتقد أن تحكيم شريعة الإسلام، يفضي إلى القتال والمخالفة، وأنه لا يحصل الاجتماع والألفة، إلا على حكم الطاغوت، فهو كافر عدو لله ولجميع الرسل؛ فإن هذا حقيقة ما عليه كفار قريش، الذين يعتقدون أن الصواب ما عليه آبائهم، دون ما بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم.

المقام الثاني: أن يقال: إذا عرفت أن التحاكم إلى الطاغوت كفر، فقد ذكر الله في كتابه أن الكفر أكبر من القتل، قال: {وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ} سورة البقرة آية: 217. ، وقال: {وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ} سورة البقرة آية: 191 ،

والفتنة: هي الكفر؛ فلو اقتتلت البادية والحاضرة، حتى يذهبوا، لكان أهون من أن ينصبوا في الأرض طاغوتا، يحكم بخلاف شريعة الإسلام، التي بعث الله بها رسوله صلى الله عليه وسلم.

المقام الثالث: أن نقول: إذا كان هذا التحاكم كفرا، والتزاع إنما يكون لأجل الدنيا، فكيف يجوز لك أن تكفر لأجل ذلك؟ فإنه لا يؤمن الإنسان، حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وحتى يكون الرسول أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين.

فلو ذهبت دنياك كلها، لما جاز لك المحاكمة إلى الطاغوت لأجلها، ولو اضطررك مضطر وخيرك، بين أن تحاكم إلى الطاغوت، أو تبذل دنياك، لوجب عليك البذل، ولم يجز لك المحاكمة إلى الطاغوت؛ والله أعلم، وصلى الله على محمد، وآله وسلم تسليما كثيرا.

رسالة الشيخ محمد بن ابراهيم - رحمه الله -

"رسالة تحكيم القوانين"

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

إنّ من الكفر الأكبر المستبين، تنزيل القانون اللعين، منزلة ما نزل به الروح الأمين، على قلب محمد صلى الله عليه وسلم، ليكون من المنذرين، بلسان عربي مبين، في الحكم به بين العالمين، والردّ إليه عند تنازع المتنازعين، مناقضة ومعاودة لقول الله عزّ وجلّ: {فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا}.

وقد نفى الله سبحانه وتعالى الإيمان عمن لم يُحكّموا النبي صلى الله عليه وسلم، فيما شجر بينهم، نفياً مؤكداً بتكرار أداة النفي وبالقسم، قال تعالى: {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}.

ولم يكتفِ تعالى وتقدس منهم بمجرد التحكيم للرسول صلى الله عليه وسلم، حتى يضيفوا إلى ذلك عدم وجود شيء من الحرج في نفوسهم، بقوله جلّ شأنه: {ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ}. والخرج: الضيق. بل لا بدّ من اتساع صدورهم لذلك وسلامتها من القلق والاضطراب.

ولم يكتفِ تعالى أيضاً هنا بهذين الأمرين، حتى يضموا إليهما التسليم: وهو كمال الانقياد لحكمه صلى الله عليه وسلم، بحيث يتخلّون ها هنا من أي تعلق للنفس بهذا الشيء، ويسلموا ذلك إلى الحكم الحقّ أتمّ تسليم، ولهذا أكّد ذلك بالمصدر المؤكّد، وهو قوله جلّ شأنه: {تَسْلِيمًا} المبيّن أنه لا يُكتفى ها هنا بالتسليم.. بل لا بدّ من التسليم المطلق.

وتأمل ما في الآية الأولى، وهي قوله تعالى: {فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا}.. كيف ذكر التّكّرة، وهي قوله: {شيء} في سياق الشرط، وهو قوله جلّ شأنه: {فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ} المفيد العموم فيما يُتصوّر التنازع فيه جنساً وقدرًا.

ثم تأمل كيف جعل ذلك شرطاً في حصول الإيمان بالله واليوم الآخر، بقوله: {إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ}، ثم قال جلّ شأنه: {ذلك خيرٌ}. فشيء يُطلق الله عليه أنه خير، لا يتطرّق إليه شرّ أبداً، بل هو خيرٌ محضٌ عاجلاً وآجلاً.

ثم قال: {وأحسن تأويلاً}. أي: عاقبة في الدنيا والآخرة، فيفيد أنّ الردّ إلى غير الرسول صلى الله عليه وسلم، عند التنازع شرٌّ محضٌ، وأسوأ عاقبة في الدنيا والآخرة عكس ما يقوله المنافقون: {إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا}. وقولهم: إنّما نحن مُصلِحون. ولهذا ردّ الله عليهم قائلاً: {أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ}.

وعكس ما عليه القانونيون من حكمهم على القانون بحاجة العالم (بل ضرورتهم) إلى التحاكم إليه، وهذا سوء ظن صِرَفٍ بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، ومحضُ استنقاص لبيان الله ورسوله، والحكم عليه بعدم الكفاية للناس عند التنازع، وسوء العاقبة في الدنيا والآخرة إن هذا لازمٌ لهم.

وتأمل أيضا ما في الآية الثانية من العموم، وذلك في قوله تعالى: {فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ}. فإن اسم الموصول مع صِلته مع صيغ العموم عند الأصوليين وغيرهم، وذلك العمومُ والشمولُ هو من ناحية الأجناس والأنواع، كما أنه من ناحية القدر، فلا فرق هنا بين نوع ونوع، كما أنه لا فرق بين القليل والكثير، وقد نفى الله الإيمانَ عن مَنْ أراد التحاكم إلى غير ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، من المنافقين، كما قال تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا}.

فإن قوله عز وجل: "يَزْعُمُونَ" تكذيب لهم فيما ادّعوه من الإيمان، فإنه لا يجتمع التحاكم إلى غير ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم مع الإيمان في قلب عبدٍ أصلاً، بل أحدهما ينافي الآخر، والطاغوت مشتق من الطغيان، وهو: مجاوزة الحد.

فكلُّ مَنْ حَكَمَ بغير ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، أو حاكمَ إلى غير ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، فقد حَكَمَ بالطاغوت وحاكم إليه.

وذلك أنه من حقِّ كلِّ أحدٍ أن يكون حاكماً بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، فقط لا بخلافه، كما أن من حقِّ كلِّ أحدٍ أن يُحاكمَ إلى ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم.. فمَنْ حَكَمَ بخلافه أو حاكمَ إلى خلافه فقد طغى، وجاوز حدّه، حُكْماً أو تحكيماً، فصار بذلك طاغوتاً لتجاوزه حده.

وتأمل قوله عز وجل: {وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ} تعرف منه معاندة القانونيين، وإرادتهم خلاف مراد الله منهم حول هذا الصدد، فالمراد منهم شرعاً والذي تعبدوا به هو: الكفر بالطاغوت لا تحكيمه.. {فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ}.

ثم تأمل قوله: {وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ} كيف دلَّ على أن ذلك ضلالٌ، وهؤلاء القانونيون يرونه من الهدى، كما دلَّت الآية على أنه من إرادة الشيطان، عكس ما يتصور القانونيون من بعدهم من الشيطان، وأن فيه مصلحة الإنسان، فتكون على زعمهم مرادات الشيطان هي صلاح الإنسان، ومراد الرحمن وما بُعث به سيدٌ ولد عدنان معزولاً من هذا الوصف، ومُنْحَى عن هذا الشأن وقد قال تعالى منكراً على هذا الضرب من الناس، ومقررًا ابتغاءهم أحكام الجاهلية، وموضحاً أنه لا حُكْمَ أحسن من حُكمه: {أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ}.

فتأمل هذه الآية الكريمة وكيف دلَّت على أن قِسْمة الحكم ثنائية، وأنه ليس بعد حكم الله تعالى إلا حُكْم الجاهلية، شاءوا أم أبوا، بل هم أسوأ منهم حالاً، وأكدب منهم مقالاً، ذلك أن أهل الجاهلية لا تناقضَ لديهم حول هذا الصدد.

وأما القانونيون فمتناقضون، حيث يزعمون الإيمان بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ويناقضون ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً، وقد قال الله تعالى في أمثال هؤلاء: {أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا}.

ثم انظر كيف ردّت هذه الآية الكريمة على القانونيين ما زعموه من حُسن زبالة أذهانهم، ونخاسة أفكارهم، بقوله عزّ وجلّ: {وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ}.

قال الحافظ ابن كثير في تفسير هذه الآية: (ينكر الله على من خرج من حكم الله المُحكّم المشتمل على كل خير، الناهي عن كل شرّ، وعدّل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات، التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات، مما يضعونها بآرائهم وأهوائهم، وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن ملّكهم "جنكيز خان" الذي وضع لهم كتاباً مجموعاً من أحكام قد اقتبسها من شرائع شتى، من اليهودية، والنصرانية، والملة الإسلامية، وغيرها وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه، فصارت في بنيهِ شرعاً مُتبعاً يقدّمونها على الحكم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فمن فعل ذلك فهو كافرٌ يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله، فلا يُحكّم سواه في قليل ولا كثير. قال تعالى: {أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ}. أي: يبتغون ويريدون، وعن حكم الله يعدلون. {وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ}. أي: ومن أعدل من الله في حكمه، لمن عقل عن الله شرعه وآمن به وأيقن، وعلم أنّ الله أحكم الحاكمين، وأرحمُ بخلقه من الوالدة بولدها، فإنه تعالى هو العالم بكل شيء القادر على كل شيء، العادل في كل شيء) انتهى قول الحافظ ابن كثير.

وقد قال عزّ شأنه قبل ذلك مخاطباً نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم: {وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ}.

وقال تعالى: {وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ}. وقال تعالى مخبراً نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم، بين الحكم بين اليهود والإعراض عنهم إن جاءوه لذلك: {فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ}. والقسط هو: العدل، ولا عدل حقاً إلا حكم الله ورسوله، والحكم بخلافه هو الجور، والظلم، والضلال، والكفر، والفسوق، ولهذا قال تعالى بعد ذلك: {وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ} {وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} {وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ}.

فانظر كيف سجّل تعالى على الحاكمين بغير ما أنزل الله الكفرَ والظلمَ والفسوقَ، ومن الممتنع أن يُسمّي الله سبحانه الحاكم بغير ما أنزل الله كافراً ولا يكون كافراً، بل كافراً مطلقاً، إمّا كفر عمل وإمّا كفر اعتقاد، وما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير هذه الآية من رواية طاووس وغيره يدلُّ أن الحاكم بغير ما أنزل الله كافرٌ إمّا كفر اعتقادٍ ناقلٌ عن الملة، وإمّا كفر عملٍ لا ينقل عن الملة.

أما الأول: وهو كفر الاعتقاد فهو أنواع:

أحدها:

أن يجحد الحاكم بغير ما أنزل الله أحقية حكم الله ورسوله وهو معنى ما روي عن ابن عباس، واختاره ابن جرير أن ذلك هو جحود ما أنزل الله من الحكم الشرعي، وهذا ما لا نزاع فيه بين أهل العلم، فإن الأصول المتقررة المتفق عليها بينهم أن مَنْ جَحَدَ أصلاً من أصول الدين أو فرعاً مُجمَعاً عليه، أو أنكر حرفاً مما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، قطعياً، فإنه كافر الكفر الناقل عن الملة.

الثاني:

أن لا يجحد الحاكم بغير ما أنزل الله كون حكم الله ورسوله حقاً. لكن اعتقد أن حكم غير الرسول صلى الله عليه وسلم أحسن من حكمه، وأتم وأشمل... لما يحتاجه الناس من الحكم بينهم عند النزاع، إما مطلقاً أو بالنسبة إلى ما استجد من الحوادث، التي نشأت عن تطور الزمان وتغير الأحوال، وهذا أيضاً لا ريب أنه كافر، لتفضيله أحكام المخلوقين التي هي محض زبالة الأذهان، وصرف حُثالة الأفكار، على حكم الحكيم الحميد.

وحكم الله ورسوله لا يختلف في ذاته باختلاف الأزمان، وتطور الأحوال، وتجدد الحوادث، فإنه ما من قضية كائنة ما كانت إلا وحكمها في كتاب الله تعالى، وسنة رسوله، صلى الله عليه وسلم، نصاً أو ظاهراً أو استنباطاً أو غير ذلك، عِلِمَ ذلك من علمه، وجهله من جهله.

وليس معنى ما ذكره العلماء من تغيير الفتوى بتغير الأحوال ما ظنه من قل نصيبه أو عدم من معرفة مدارك الأحكام وعِلَلها، حيث ظنوا أن معنى ذلك بحسب ما يلائم إرادتهم الشهوانية البهيمية، وأغراضهم الدنيوية وتصوراتهم الخاطئة الوبية.

ولهذا تجدهم يحامون عليها، ويجعلون النصوص تابعة لها منقادة إليها، مهما أمكنهم فيحرفون لذلك الكلم عن مواضعه.

وحينئذٍ معنى تغيير الفتوى بتغير الأحوال والأزمان مراد العلماء منه: ما كان مُستصحبه فيه الأصول الشرعية، والعلل المرعية، والمصالح التي جنسها مراد الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم. ومن المعلوم أن أبواب القوانين الوضعية عن ذلك بمعزل، وأنهم لا يقولون إلا على ما يلائم مرادهم، كائنة ما كانت، والواقع أصدق شاهد.

الثالث:

أن لا يعتقد كونه أحسن من حكم الله ورسوله، لكن اعتقد أنه مثله، فهذا كالنوعين الذين قبله، في كونه كافر الكفر الناقل عن الملة، لما يقتضيه ذلك من تسوية المخلوق بالخالق والمناقضة والمعادلة لقوله عز وجل: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ}. ونحوها من الآيات الكريمة، الدالة على تفرّد الربّ بالكمال، وتنزيهه عن ممثالة المخلوقين، في الذات والصفات والأفعال والحكم بين الناس فيما يتنازعون فيه.

الرابع:

أَنْ لَا يَعْتَقِدَ كَوْنُ حُكْمِ الْحَاكِمِ بغيرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِمَّاثِلًا لِحُكْمِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَضْلًا عَنْ أَنْ يَعْتَقِدَ كَوْنَهُ أَحْسَنَ مِنْهُ، لَكِنْ اعْتَقَدَ جَوَازَ الْحُكْمِ بِمَا يَخَالِفُ حُكْمَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَهَذَا كَالَّذِي قَبْلَهُ يَصْدُقُ عَلَيْهِ مَا يَصْدُقُ عَلَيْهِ، لَا عِتْقَادَهُ جَوَازَ مَا عَلِمَ بِالنُّصُوصِ الصَّحِيحَةِ الصَّرِيحَةِ الْقَاطِعَةِ تَحْرِيمِهِ.

الخامس:

وهو أعظمها وأشملها وأظهرها معاندة للشرع، ومكابرة لأحكامه، ومشاقّة لله ورسوله، ومضاهاة بالحاكم الشرعية، إعدادا وإمدادا وإرصادا وتأصيلا، وتفريعا وتشكيلا وتنويعا وحكما وإلزاما، ومراجع ومستندات. فكما أَنَّ للمحاكم الشرعية مراجعَ مستمدّات، مرجعها كلّها إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. فلهذه المحاكم مراجعٌ، هي: القانون المُلَفَّق من شرائعٍ شتى، وقوانين كثيرة، كالقانون الفرنسي، والقانون الأمريكي، والقانون البريطاني، وغيرها من القوانين، ومن مذاهب بعض البدعيين المنتسبين إلى الشريعة وغير ذلك.

فهذه المحاكم في كثير من أمصار الإسلام مهية مكملّة، مفتوحة الأبواب، والناس إليها أسرابٌ إثر أسراب، يحكّم حُكّامُها بينهم بما يخالف حُكْمَ السُّنّة والكتاب، من أحكام ذلك القانون، وتُلزِمهم به، وتُقِرُّهم عليه، وتُحْتَمُّه عليهم.. فأَيُّ كُفْرٍ فوق هذا الكفر، وأَيُّ مناقضة للشهادة بأنّ محمداً رسولُ الله بعد هذه المناقضة. وَذَكَرُ أَدَلَّةٍ جَمِيعٍ مَا قَدَّمْنَا عَلَى وَجْهِ الْبَسْطِ مَعْلُومَةٌ مَعْرُوفَةٌ، لَا يَحْتَمِلُ ذِكْرُهَا هَذَا الْمَوْضُوعَ.

فيا معشر العقلاء! ويا جماعات الأذكياء وأولي النُّها!

كيف ترضون أَنْ تجري عليكم أحكامُ أمثالكم، وأفكارُ أشباهكم، أو مَنْ هُمْ دُونَكُمْ، مِمَّنْ يَجُوزُ عَلَيْهِمُ الْخُطَأُ، بَلْ خَطَأُهُمْ أَكْثَرُ مِنْ صَوَابِهِمْ بِكَثِيرٍ، بَلْ لَا صَوَابَ فِي حُكْمِهِمْ إِلَّا مَا هُوَ مُسْتَمَدٌّ مِنْ حُكْمِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، نَصًّا أَوْ اسْتِنْبَاطًا؟!!

تَدْعُوهُمْ يَحْكُمُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ وَدِمَائِهِمْ وَأَبْشَارِهِمْ، وَأَعْرَاضِهِمْ فِي أَهْلِيهِمْ مِنْ أَزْوَاجِهِمْ وَذُرَارِيِّهِمْ، وَفِي أَمْوَالِهِمْ وَسَائِرِ حَقُوقِهِمْ!! وَيَتْرَكُونَ وَيَرْفُضُونَ أَنْ يَحْكُمُوا فِيكُمْ بِحُكْمِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، الَّذِي لَا يَتَطَرَّقُ إِلَيْهِ الْخُطَأُ، وَلَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ!!

وَحُضُوعُ النَّاسِ وَرِضْوَانُهُمْ لِحُكْمِ رَبِّهِمْ خُضُوعٌ وَرِضْوَانٌ لِحُكْمِ مَنْ خَلَقَهُمْ تَعَالَى لِيَعْبُدُوهُ.. فَكَمَا لَا يَسْجُدُ الْخَلْقُ إِلَّا لِلَّهِ، وَلَا يَعْبُدُونَ إِلَّا إِيَّاهُ وَلَا يَعْبُدُونَ الْمَخْلُوقَ، فَكَذَلِكَ يَجِبُ أَنْ لَا يَرْضَخُوا وَلَا يَخْضَعُوا أَوْ يَنْقَادُوا إِلَّا لِحُكْمِ الْحَكِيمِ الْعَلِيمِ الْحَمِيدِ، الرَّءُوفِ الرَّحِيمِ، دُونَ حُكْمِ الْمَخْلُوقِ، الظُّلُومِ الْجَهُولِ، الَّذِي أَهْلَكَتْهُ الشُّكُوكُ وَالشَّهَوَاتُ وَالشَّبَهَاتُ، وَاسْتَوْلَتْ عَلَى قُلُوبِهِمُ الْغَفْلَةُ وَالْقَسْوَةُ وَالظُّلُمَاتُ.

فَيَجِبُ عَلَى الْعُقَلَاءِ أَنْ يَرَبَّأُوا بِنَفْسِهِمْ عَنْهُ، لِمَا فِيهِ مِنَ الْاسْتِعْبَادِ لَهُمْ، وَالتَّحَكُّمِ فِيهِمْ بِالْأَهْوَاءِ وَالْأَغْرَاضِ، وَالْأَغْلَاطِ وَالْأَخْطَاءِ، فَضْلًا عَنْ كَوْنِهِ كُفْرًا بِنَصِّ قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ}.

السادس:

ما يحكم به كثير من رؤساء العشائر، والقبائل من البوادي ونحوهم، من حكايات آبائهم وأجدادهم، وعاداتهم التي يسمونها "سلومهم"، يتوارثون ذلك منهم، ويحكمون به ويحضون على التحاكم إليه عند النزاع، بقاءً على أحكام الجاهلية، وإعراضاً ورغبةً عن حكم الله ورسوله، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

وأما القسم الثاني: من قسمي كفر الحاكم بما أنزل الله، وهو الذي لا يخرج من الملة. فقد تقدم أن تفسير ابن عباس رضي الله عنهما لقول الله عز وجل: {وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ}. قد شمل ذلك القسم، وذلك في قوله رضي الله عنه في الآية: "كفر دون كفر"، وقوله أيضاً: "ليس بالكفر الذي تذهبون إليه".

وذلك أن تحمله شهوته وهواه على الحكم في القضية بغير ما أنزل الله، مع اعتقاده أن حكم الله ورسوله هو الحق، واعترافه على نفسه بالخطأ ومجانبة الهدى.

وهذا وإن لم يخرج كُفْرَهُ عن الملة، فإنه معصية عظمى أكبر من الكبائر، كالزنا وشرب الخمر، والسرقه واليمين الغموس، وغيرها..

إن معصية سبها الله في كتابه كفراً، أعظم من معصية لم يسمها كفراً.

نسأل الله أن يجمع المسلمين على التحاكم إلى كتابه، انقياداً ورضاءً، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

تمت الرسالة والله الحمد

رسالة الشيخ "ابن باز" "نقد القومية العربية على ضوء الإسلام والواقع"

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

فلا يشك مسلم له أدنى بصيرة بالتاريخ الإسلامي في فضل العرب المسلمين ، وما قاموا به من حمل رسالة الإسلام في القرون المفضلة ، وتبليغه لكافة الشعوب ، والصدق في الدعوة إليه ، والجهاد لنشره والدفاع عنه ، وتحمل المشاق العظيمة في ذلك ، حتى أظهره الله على أيديهم وخفقت رايته في غالب المعمورة ، وشاهد العالم على أيدي دعاة الإسلام في صدر الإسلام أكمل نظام وأعدل حاكم ، ورأوا في الإسلام كل ما يريدون وينشدون من خير الدنيا والآخرة ، ووجدوا في الإسلام تنظيم حياة سعيدة تكفل لهم العزة والكرامة والحرية من عبادة العبيد ، وظلم المستبدين ، والولاء الغاشمين ، ووجدوا في الإسلام تنظيم علاقتهم بالله سبحانه : بعبادة عظيمة تصلهم بالله ، وتطهر قلوبهم من الشرك والحقد والكبر ، وتغرس فيها غاية الحب لله وكمال الذل له والتلذذ بمناجاته ، وتعرفهم بربهم وبأنفسهم ، وتذكرهم بالله وعظيم حقه كلما غفلوا أو كادوا أن يغفلوا ووجدوا في الإسلام تنظيم علاقتهم بالرسول صلى الله عليه وسلم وماذا يجب عليهم من حقه والسير في سبيله.

ووجدوا في الإسلام أيضا تنظيم العلاقات التي بين الراعي والرعية ، وبين الرجل وأهله ، وبين الرجل وأقاربه ، وبين الرجل وإخوانه المسلمين ، وبين المسلمين والكفار ، بعبارات واضحة وأساليب جلية ووجدوا من الرسول صلى الله عليه وسلم ومن الصحابة وأتباعهم بإحسان تفسير ذلك بأخلاقهم الحميدة وأعمالهم المجيدة ، فأحب الناس الإسلام وعظموه ودخلوا فيه أفواجا ، وأدركوا فيه كل خير وطمأنينة وصلاح وإصلاح.

والكلام في مزايا الإسلام وما اشتمل عليه من أحكام سامية وأخلاق كريمة ، تصلح القلوب ، وتؤلف بينها وتربطها برباط وثيق من المودة في الله سبحانه ، والتفاني في نصر دينه ، والتمسك بتعاليمه ، والتواصي بالحق والصبر عليه ، لا ريب أن الكلام في هذا الباب يطول والقصد في هذه الكلمة الإشارة إلى ما حصل على أيدي المسلمين من العرب في صدر الإسلام من الجهاد والصبر ، وما أكرمهم الله به من حمل مشعل الإسلام إلى غالب المعمورة ، وما حصل للعالم من الرغبة في الإسلام ، والمسارعة إلى الدخول فيه ، لما اشتمل عليه من الأحكام الرشيدة والتعاليم السمحة ، والتعريف بالله سبحانه وبأسمائه وصفاته وعظيم حقه على عباده ، ولما اتصف به حملته والدعاة إليه من تمثيل أحكام الإسلام في أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم ، حتى صاروا بذلك خير أمة أخرجت

للناس ، وحققوا بذلك معنى قوله تعالى : { كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ } ومعنى الآية كما قال أبو هريرة رضي الله عنه كنتم خير الناس للناس .

لا يشك مسلم قد عرف ما كان عليه المسلمون في صدر الإسلام فيما ذكرناه ، فهو من الحقائق المعلومة بين المسلمين ، ولا يشك مسلم في ما للمسلمين غير العرب من الفضل والجهاد المشكور في مساعدة إخوانهم من العرب المسلمين في نشر هذا الدين والجهاد في إعلاء كلمته ، وتبليغه سكان المعمورة ، شكر الله للجميع مساعيهم الجليلة ، وجعلنا من أتباعهم بإحسان ، إنه على كل شيء قدير .

وإنما الذي ينكر اليوم ويستغرب صدوره عن كثير من أبناء الإسلام من العرب ، انصرافهم عن الدعوة إلى هذا الدين العظيم ، الذي رفعهم الله به ، وأعزهم بحمل رسالته ، وجعلهم ملوك الدنيا وسادة العالم ، لما حملوا لواءه وجاهدوا في سبيله بصدق وإخلاص ، حتى فتحوا الدنيا ، وكسروا كسرى ، وقصروا قيصر ، واستولوا على خزائن مملكتيهما ، وأنفقوها في سبيل الله سبحانه ، وكانوا حينذاك في غاية من الصدق والإخلاص والوفاء والأمانة والتحاب عربي في الله سبحانه والمؤاخاة فيه ، لا فرق عندهم بين وعجمي ، ولا بين أحر وأسود ، ولا بين غني وفقير ، ولا بين شرقي وغربي ، بل هم في ذلك إخوان متحابون في الله ، متعاونون على البر والتقوى ، مجاهدون في سبيل الله ، صابرون على دين الإسلام لا تأخذهم في الله لومة لائم ، يوالون في الإسلام ، ويعادون فيه ، ويحبون عليه ، ويبغضون عليه ، ولذلك كفاهم الله مكاييد أعدائهم ، وكتب لهم النصر في جميع ميادين جهادهم ، كما وعدهم الله سبحانه بذلك في كتابه المبين حيث يقول سبحانه : { وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ } وقال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ } .

ثم بعد هذا الشرف العظيم والنصر المؤزر من المولى سبحانه لعباده المؤمنين من العرب وغيرهم ، نرى نفرا من أبنائنا يخذعون بالمبادئ المنحرفة ، ويدعون إلى غير الإسلام ، كأنهم لم يعرفوا فضل الإسلام وما حصل لأسلافهم بالإسلام من العزة والكرامة ، والمجد الشامخ والمجتمع القوي الذي كتبه الله لأهل الإسلام الصادقين ، حتى إن عدوهم ليخافهم وهو عنهم مسيرة شهر ، نسي هؤلاء أو تناسوا هذا المجد المؤثل والعز العظيم والملك الكبير ، الذي ناله المسلمون بالإسلام ، فصار هؤلاء الأبناء يدعون إلى التكتل والتجمع حول القومية العربية ، ويعرفونها بأنها اجتماع وتكاتف لتطهير البلاد من العدو المستعمر ، ولتحصيل المصالح المشتركة ، واستعادة المجد السليب .

وقد اختلف الدعاة إليها في عناصرها ، فمن قائل : إنها الوطن ، والنسب ، واللغة العربية . ومن قائل : إنها اللغة فقط . ومن قائل : إنها اللغة مع المشاركة في الآلام والآمال . ومن قائل غير ذلك . أما الدين فليس من عناصرها عند أساطينهم ، والصرحاء منهم ، وقد صرح كثير بأن الدين لا دخل له في القومية ، وصرح بعضهم أنها تحترم الأديان كلها من الإسلام وغيره . وهدفها كما يعلم من كلامهم هو التكتل والتجمع والتكاتف ضد الأعداء ولتحصيل المصالح المشتركة كما سلف ، ولا ريب بأن هذا غرض نبيل وقصد جميل .

فإذا كان هذا هو الهدف ، ففي الإسلام من الحث على ذلك والدعوة إليه وإيجاب التكاتف والتعاون لنصر الإسلام ، وحمائته من كيد الأعداء ولتحصيل المصالح المشتركة ، ما هو أكمل وأعظم مما يرتجى من وراء القومية . ومعلوم عند كل ذي لب سليم أن التكاتف والتعاون الذي مصدره القلوب والإيمان بصحة الهدف ، وسلامة العاقبة في الحياة وبعد الممات كما في الإسلام الصحيح - أعظم من التعاون والتكاتف على أمر اخترعه البشر ولم ينزل به وحي السماء ولا تؤمن عاقبته لا في الدنيا ولا في الآخرة . وأيضاً فالتكاتف والتعاون الصادر عن إيمان بالله وصدق في معاملته ومعاملته عباده مضمون له النصر وحسن العاقبة - كما في الآيات الكريمة التي أسلفنا ذكرها - بخلاف التكاتف والتعاون المبني على فكرة جاهلية تقليدية لم يأت بها شرع ولم يضمن لها النصر .

وهذا كله على سبيل التنزل لدعاة القومية ، والرغبة في إيضاح الحقائق لطالب الحق . وإلا فمن خبر أحوال القوميين وتدبر مقالاتهم وأخلاقهم وأعمالهم عرف أن غرض الكثيرين منهم من الدعوة إلى القومية أمور أخرى يعرفها من له أدنى بصيرة بالواقع وأحوال المجتمع ، ومن تلك الأمور : فصل الدين عن الدولة ، وإقصاء أحكام الإسلام عن المجتمع والاعتياض عنها بقوانين وضعية ملفقة من قوانين شتى ، وإطلاق الحرية للنزعات الجنسية والمذاهب الهدامة - لا بلغهم الله منها - ولا ريب أن دعوة تفضي إلى هذه الغايات يرقص لها الاستعمار طرباً ويساعد على وجودها ورفع مستواها - وإن تظاهر بخلاف ذلك - تغيراً للعرب عن دينهم ، وتشجيعاً لهم على الاشتغال بقوميتهم ، والدعوة إليها والإعراض عن دينهم .

ومن زعم من دعاة القومية أن الدين من عناصرها فقد فرض أخطاء على القوميين وقال عليهم ما لم يقولوا ؛ لأن الدين يخالف أسسهم التي بنوا القومية عليها ، ويخالف صريح كلامهم ويبين ما يقصدونه من تكتيل العرب على اختلاف أديانهم تحت راية القومية . . ولهذا تجد من يجعل الدين من عناصر القومية يتناقض في كلامه ، فيشبه تارة وينفيه أخرى ، وما ذلك إلا أنه لم يقله عن عقيدة وإيمان ، وإنما قاله مجاملة لأهل الإسلام ، أو عن جهل بحقيقة القومية وهدفها . وهكذا قول من قال : إنها تخدم الإسلام أو تسانده ، وكل ذلك بعيد عن الحقيقة والواقع ، وإنما الحقيقة أنها تنافس الإسلام وتحاربه في عقر داره ، وتطلي ببعض خصائصه وتروجها لها وتلبسها أو جهلاً وتقليداً .

ولو كانت الدعوة إلى القومية يراد منها نصر الإسلام وحماية شعائره لكرس القوميون جهدهم في الدعوة إليه ومناصرته وتحكيم دستوره النازل من فوق سبع سماوات ، ولبادروا إلى التخلق بأخلاقه ، والعمل بما يدعو إليه ، وابتعدوا عن كل ما يخالفه ؛ لأنه الأصل الأصيل والهدف الأعظم ، ولأنه السبيل الذي من سار عليه واستقام عليه وصل إلى شاطئ السلامة وفاز بالجنة والكرامة ، ومن حاد عن سبيله باء بالخيبة والندامة ، وخسر الدنيا والآخرة ، فلو كان دعاة القومية يقصدون بدعوتهم إليها تعظيم الإسلام وخدمته ورفع شأنه لما اقتصروا على

الدعوة للخادم دون المخدم ، وكرسوا لهذا الخادم جهودهم ، وغضبوا من صوت دعاة الإسلام إذا دعوا إليه وحذروا مما يخالفه أو يقف حجرا في طريقه.

لو كان دعاة القومية يريدون بدعوتهم إعلاء كلمة الإسلام واجتماع العرب عليه ، لنصحوا العرب ودعواهم إلى التمسك بتعاليم الإسلام وتنفيذ أحكامه ، ولشجعواهم على نصره ودعوة الناس إليه ، فإن العرب أولى الناس بأن ينصروا الإسلام ، ويحموه من مكائد الأعداء ويحكموه فيما شجر بينهم ، كما فعل أسلافهم لأنه عزهم وذكرهم ومجدهم ، كما قال الله تعالى : { لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ } وقال { فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } { لَذِكْرُكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ }.

وإذا عرفت أيها القارئ ما تقدم ، فاعلم أن هذه الدعوة : أعني الدعوة إلى القومية العربية أحدثها الغربيون من النصراني لمحاربة الإسلام والقضاء عليه في داره بزخرف من القول ، وأنواع من الخيال ، وأساليب من الخداع ، فاعتنقها كثير من العرب من أعداء الإسلام ، واغتر بها كثير من الأغمار ومن قلدهم من الجهال ، وفرح بذلك أرباب الإلحاد وخصوم الإسلام في كل مكان . ومن المعلوم من دين الإسلام بالضرورة أن الدعوة إلى القومية العربية أو غيرها من القوميات دعوة باطلة وخطأ عظيم ، ومنكر ظاهر ، وجاهلية وكيد سافر للإسلام وأهله ، وذلك لوجوه.

1- الأول : أن الدعوة إلى القومية العربية تفرق بين المسلمين ، وتفصل المسلم العجمي عن أخيه العربي ، وتفرق بين العرب أنفسهم لأنهم كلهم ليسوا يرتضونها ، وإنما يرضاها منهم قوم دون قوم ، وكل فكرة تقسم المسلمين وتجعلهم أحزابا فكرة باطلة ، تخالف مقاصد الإسلام وما يرمي إليه ؛ وذلك لأنه يدعو إلى الاجتماع والوئام ، والتواصي بالحق والتعاون على البر والتقوى كما يدل على ذلك قوله سبحانه : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ } { وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ } وقال تعالى : { هُوَ الَّذِي آيَدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ } { وَالْأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ }

وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } وقال تعالى : { مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ } { مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ }.

فانظر أيها المؤمن الراغب في الحق كيف يحارب الإسلام التفرق والاختلاف ، ويدعو إلى الاجتماع والوئام والتمسك بحبل الحق والوفاء عليه ، تعلم بذلك أن هدف القومية غير هدف الإسلام ، وأن مقاصدها تخالف مقاصد الإسلام ، ويدل على ذلك أيضا أن هذه الفكرة - أعني الدعوة إلى القومية العربية - وردت إلينا من أعدائنا الغربيين ، وكادوا بها المسلمين ، ويقصدون من ورائها فصل بعضهم عن بعض ، وتحطيم كيانهم ، وتفريق

شملهم ، على قاعدتهم المشنومة "فرق تسد" وكم نالوا من الإسلام وأهله بهذه القاعدة النحيسة ، مما يحزن القلوب ويدمي العيون.

وذكر كثير من مؤرخي الدعوة إلى القومية العربية ، ومنهم مؤلف الموسوعة العربية : أن أول من دعا إلى القومية العربية في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي ، هم الغربيون على أيدي بعثات التبشير في سوريا ، ليفصلوا الترك عن العرب ، ويفرقوا بين المسلمين ، ولم تنزل الدعوة إليها في الشام والعراق ولبنان تزداد وتنمو حتى عقد لها أول مؤتمر في باريس من نحو ستين سنة وذلك عام 1910 م ، وكثرت بسبب ذلك الجمعيات العربية ، وتعددت الاتجاهات ، فحاول الأتراك إخمادها بأحكام الإعدام التي نفذها جمال باشا في سورية في ذلك الوقت إلى آخر ما ذكروا ، فهل تظن أيها القارئ أن خصومنا وأعداءنا يسعون في مصالحنا بابتداعهم الدعوة إلى القومية العربية وعقد المؤتمرات لها وابتعث المبشرين بها ، لا والله ، إنهم لا يريدون بنا خيرا ولا يعملون لمصلحتنا ، وإنما يعملون ويسعون لتحطيمنا وتمزيق شملنا ، والقضاء على ما بقي من ديننا ، وكفى بذلك دليلا لكل ذي لب ، على ما يراد من وراء الدعوة إلى القومية العربية ، وأنها معول غربي استعماري يراد به تفريقنا وإبعادنا عن ديننا كما سلف.

ومن العجب الذي لا ينقضي ، أن كثيرا من شبابنا وكتابنا - ألهمهم الله رشدهم - خفيت عليهم هذه الحقيقة حتى ظنوا أن التكتل والتجمع حول القومية العربية والمناصرة لها أنفع للعرب وأضر للعدو من التجمع والتكتل حول الإسلام ومناصرته ، وهذا بلا شك ظن خاطئ واعتقاد غير مطابق للحقيقة . نعم لا شك أنه يحزن المستعمر ويقلق راحته كل تجمع وتكتل ضد مصلحته ، ولكن خوفه من التجمع والتكتل حول الإسلام أعظم وأكبر ، ولذلك رضي بالدعوة إلى القومية العربية ، وحفز العرب إليها ليشغلهم عن الإسلام ، وليقطع بها صلتهم بالله سبحانه ؛ لأنهم إذا فقدوا الإسلام حرموا ما ضمنه الله لهم من النصر الذي وعدهم به في الآيتين السابقتين . وفي قوله تعالى : { وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ } { الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ } .

ومعلوم عند جميع العقلاء أنه إذا كان لا بد من أحد ضررين ، فارتكاب الأدنى منهما أولى ، حذرا من الضرر الأكبر ، وقد دل الشرع والقدر على هذه القاعدة ، وقد عرفها المستعمر وسلكتها في هذا الباب وغيره . فتنبه يا أخي واحذر مكاييد الشيطان والاستعمار وأوليائهما ، تنج من ضرر عظيم ، وخطر كبير ، وعواقب سيئة عافاني الله وإياك والمسلمين من ذلك.

ومما تقدم يعلم القارئ اليقظ أن الدعوة إلى القومية العربية - كما أنها إساءة إلى الإسلام ومحاربة له في بلاده - فهي أيضا إساءة إلى العرب أنفسهم ، وجناية عليهم عظيمة ، لكونها تفصلهم عن الإسلام الذي هو مجدهم الأكبر ، وشرفهم الأعظم ، ومصدر عزهم وسيادتهم على العالم ، فكيف يرضى عربي عاقل بدعوة هذا شأنها وهذه

غايته؟! ولقد أحسن الكاتب الإسلامي الشهير أبو الحسن الندوي في رسالته المشهورة "اسمعوها مني صريحة : أيها العرب" حيث يقول في صفحة 27 ، 28 ما نصه.

"فمن المؤسف الحزن المخجل أن يقوم في هذا الوقت في العالم العربي رجال يدعون إلى القومية العربية المجردة من العقيدة والرسالة ، وإلى قطع الصلة عن أعظم نبي عرفه تاريخ الإيمان وعن أقوى شخصية ظهرت في العالم ، وعن أمتن رابطة روحية تجمع بين الأمم والأفراد والأشتات . إنها جريمة قومية تنزع جميع الجرائم القومية التي سجلها تاريخ هذه الأمة ، وإنها حركة هدم وتخريب تفوق جميع الحركات الهدامة المعروفة في التاريخ ، وإنها خطوة حاسمة مشئومة في سبيل الدمار القومي والانتحار الاجتماعي" انتهى.

فتأمل أيها القارئ كلمة هذا العالم العربي الحسني الكبير (أبو الحسن الندوي) الذي قد سبر أحوال العالم وعرف نتائج الدعوة إلى القوميات وسوء مصيرها ، تدرك بعقلك السليم ما وقع فيه العرب المسلمون اليوم من فتنة كبرى ومصيبة عظيمة بهذه الدعوة المشئومة ، وفي الله المسلمين شرها ووفق العرب وجميع المسلمين للرجوع إلى ما كان عليه أسلافهم المهديون ، إنه سميع مجيب.

ثم لا يخفك أيها القارئ الكريم غربة الإسلام اليوم وقلة أنصاره والمتحمسين لدعوته وكثرة المحاربين له والمتنكرين لأحكامه وتعاليمه ، فالواجب على أبناء الإسلام بدلا من التحمس للقومية والمناصرة لدعوتها أن يكرسوا جهودهم للدعوة إلى الإسلام وتعظيمه في قلوب الناس ، وأن يجتهدوا في نشر محاسنه وإعلان أحكامه العادلة ، وتعاليمه السمحة صافية نقية من شوائب الشرك والخرافات والبدع والأهواء ، حتى يعيدوا بذلك ما درس من مجد أسلافهم وحماستهم للإسلام وتكريس قواهم لنصرتهم وحمائته والرد على خصومه بشتى الأساليب الناجعة وأنواع الحجج والبراهين الساطعة ولا شك أن هذا واجب متحتم وفرض لازم على جميع أبناء الإسلام ، كل منهم بحسب ما أعطاه الله من المقدرة والإمكانات التي يستطيع بها القيام بما أوجب الله عليه من النصر لدينه والدعوة إليه ، فنسأل الله أن يمن على الجميع بذلك وأن يصلح قلوبنا وأعمالنا وأن يقر أعين المسلمين جميعا بنصر الإسلام الصافي من الشوائب وظهوره على جميع خصومه في القريب العاجل ، إنه سبحانه خير مسئول وأقرب مجيب.

-الوجه الثاني : أن الإسلام نهي عن دعوى الجاهلية وحذر منها ، وأبدى في ذلك وأعاد في نصوص كثيرة بل قد جاءت النصوص تنهى عن جميع أخلاق الجاهلية ، وأعمالهم إلا ما أقره الإسلام من ذلك ولا ريب أن الدعوة إلى القومية العربية من أمر الجاهلية ، لأنها دعوة إلى غير الإسلام ومناصرة لغير الحق ، وكم جرت دعوى الجاهلية على أهلها من ويلات وحروب طاحنة ، وقودها النفوس والأموال والأعراض ، وعاقبتها تمزيق الشمل وغرس العداوة والشحناء في القلوب والتفريق بين القبائل والشعوب . قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : كل ما خرج عن دعوى الإسلام والقرآن من نسب أو بلد أو جنس أو مذهب أو طريقة : فهو من عزاء الجاهلية ، بل

لما اختصم مهاجري وأنصاري فقال المهاجري : يا للمهاجرين ، وقال الأنصاري : يا للأنصار ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم وغضب لذلك غضبا شديدا » . انتهى .

ومما ورد في ذلك من النصوص قوله تعالى : { وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ } وقال تعالى : { إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ الْحَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةَ } وفي سنن أبي داود ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ليس منا من دعا إلى عصبية ، وليس منا من قاتل على عصبية ، وليس منا من مات على عصبية » وفي " صحيح مسلم " أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يغبي أحد على أحد ولا يفخر أحد على أحد » ولا ريب أن دعاة القومية يدعون إلى عصبية ويغضبون لعصبية ويقاتلون على عصبية ، ولا ريب أيضا أن الدعوة إلى القومية تدعو إلى البغي والفخر لأن القومية ليست ديننا سماويا يمنع أهلها من البغي والفخر ، وإنما هي فكرة جاهلية تحمل أهلها على الفخر بها والتعصب لها على من نالها بشيء ، وإن كانت هي الظالمة وغيرها المظلوم ، فتأمل أيها القارئ ذلك يظهر لك وجه الحق .

ومن النصوص الواردة في ذلك ما رواه الترمذي وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الله قد أذهب عنكم عصبية الجاهلية وفخرها بالآباء ، إنما هو مؤمن تقي أو فاجر شقي ، الناس بنو آدم و آدم خلق من تراب ، ولا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى » وهذا الحديث يوافق قوله تعالى : { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ } أوضح سبحانه بهذه الآية الكريمة أنه جعل الناس شعوبا وقبائل للتعارف لا للتفاخر والتعظيم ، وجعل أكرمهم عنده سبحانه هو أتقاهم ، وهكذا يدل الحديث المذكور على هذا المعنى ويرشد إلى أن سنة الجاهلية التكبر والتفاخر بالأسلاف والأحساب ، والإسلام بخلاف ذلك يدعو إلى التواضع والتقوى والتحاب في الله ، وأن يكون المسلمون الصادقون من سائر أجناس بني آدم جسدا واحدا ، وبناء واحدا يشد بعضهم بعضا ، ويألم بعضهم لبعض ، كما في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا - وشبك بين أصابعه - » وقال صلى الله عليه وسلم : « مثل المؤمنين في

توادهم وتراحيمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحلمى والسهر » فأنشدك بالله أيها القومي : هل قوميتك تدعو إلى هذه الأخلاق الفاضلة من الرحمة للمسلمين من العرب والعجم والعطف عليهم والتألم لآلامهم ؟ لا والله ، وإنما تدعو إلى موالاة من انحرف في سلوكها ، وتنصب العداوة لمن تنكر لها ، فتنبه أيها المسلم الراغب في النجاة ، وانظر إلى حقائق الأمور بمرآة العدالة والتجرد من التعصب والهوى ، حتى ترى الحقائق على ما هي عليه ، أرشدني الله وإياك إلى أسباب النجاة .

ومن ذلك ما ثبت في الصحيح أن غلاما من المهاجرين وغلاما من الأنصار تنازعا فقال المهاجري : يا للمهاجرين ! وقال الأنصاري : يا للأنصار ! فسمع ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم » فإذا كان من انتسب إلى المهاجرين واستنصر بهم على ، أو إلى الأنصار واستنصر بهم يكون قد دعا بدعوى الجاهلية مع كونهما اسمين محبوبين لله سبحانه ، وقد أثنى الله على أهلها ثناء عظيم في قوله تعالى : { وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ } الآية ، فكيف تكون حال من انتسب إلى القومية واستنصر بها وغضب لها ؟ أفلا يكون أولى ثم أولى بأن يكون قد دعا بدعوى الجاهلية ؟ لا شك أن هذا من أوضح الإيضاحات .

ومن ذلك ما ثبت في الحديث الصحيح عن الحارث الأشعري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس أن يعمل بهن ويأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن فذكرها ، ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم : وأنا آمركم بخمس الله أمرني بهن : السمع والطاعة والجهاد والهجرة والجماعة ، فإنه من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه إلا أن يراجع ومن دعا بدعوى الجاهلية فهو من جثى جهنم قيل يا رسول الله وإن صلى وصام ؟ قال " وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم ، فادعوا بدعوى الله الذي سماكم المسلمين المؤمنين عباد الله » وهذا الحديث الصحيح من أوضح الأحاديث وأبينها في إبطال الدعوة إلى القومية ، واعتبارها دعوة جاهلية يستحق دعاؤها أن يكونوا من جثى جهنم وإن صاموا وصلوا وزعموا أنهم مسلمون ، فإيا له من وعيد شديد وتحذير ينذر كل مسلم من الدعوات الجاهلية ، والركون إلى معتنقيها ، وإن زخرفوها بالمقالات السحرية ، والخطب الرنانة الواسعة ، التي لا أساس لها من الحقيقة ، ولا شاهد لها من الواقع ، وإنما هو التلبيس والخداع والتقليد الأعمى ، الذي ينتهي بأهله إلى أسوأ العواقب ، نسأل الله السلامة من ذلك .

وهنا شبهة يذكرها بعض دعاة القومية أحب أن أكشفها للقارئ ، وهي أن بعض دعاة القومية زعم أن النهي عن الدعوة إلى القومية العربية والتحذير منها يتضمن تنقص العرب وإنكار فضلهم .

والجواب أن يقال : لا شك أن هذا زعم خاطئ واعتقاد غير صحيح ، فإن الاعتراف بفضل العرب ، وما سبق لهم في صدر الإسلام من أعمال مجيدة لا يشك فيه مسلم عرف التاريخ كما أسلفنا ، وقد ذكر غير واحد من أهل العلم ، ومنهم أبو العباس ابن تيمية في كتابه : " اقتضاء الصراط المستقيم " أن مذهب أهل السنة تفضيل جنس العرب على غيرهم ، وأورد في ذلك أحاديث تدل على ذلك ، ولكن لا يلزم من الاعتراف بفضلهم أن يجعلوا عمادا يتكفل حوله ويوالى عليه ويعادى عليه ، وإنما ذلك من حق الإسلام الذي أعزهم الله به وأحيا فكرهم ورفع شأنهم ، فهذا لون وهذا لون ، ثم هذا الفضل الذي امتازوا به على غيرهم ، وما من الله به عليهم من فصاحة اللسان ونزول القرآن الكريم بلغتهم وإرسال الرسول العام بلسانهم ليس مما يقدمهم عند الله في الآخرة ، ولا يوجب لهم النجاة إذا لم يؤمنوا ويتقوا ، وليس ذلك أيضا بموجب تفضيلهم على غيرهم من جهة

الدين ، بل أكرم الناس عند الله أتقاهم كما تقدم في الآية الكريمة والحديث الشريف ، بل هذا الفضل عند أهل التحقيق يوجب عليهم أن يشكروا الله سبحانه أكثر من غيرهم ، وأن يضاعفوا الجهود في نصر دينه الذي رفعهم الله به ، وأن يوالوا عليه

ويعادوا عليه دون أن يلتفتوا إلى قومية أو غيرها من الأفكار المسمومة والدعوات المشؤمة ، ولو كانت أنسابهم وحدها تنفعهم شيئا لم يكن أبو هب وأضرابه من أصحاب النار ، ولو كانت تنفعهم بدون الإيمان لم يقل لهم النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح : « يا معشر قريش ! اشتروا أنفسكم من الله ، لا أغني عنكم من الله شيئا » وبذلك يعلم القارئ السليم من الهوى أن الشبهة المذكورة شبهة واهية لا أساس لها من الشرع المطهر ، ولا من المنطق السليم البعيد من الهوى.

وهنا شبهة أخرى وهي قول بعضهم : أنه قد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا ذل العرب ذل الإسلام » ورواه بعضهم بلفظ : « إذا عز العرب عز الإسلام » قالوا : وهذا يدل علي أن انتصار القومية العربية والدعوة إليها انتصار للإسلام ودعوة إليه ، والجواب أن يقال : يعلم كل ذي لب سليم وبصيرة بالإسلام ، أن هذه سفسطة في السمعيات ، ومغالطة في الحقائق ، وتأويل للحديث على غير تأويله ، سواء صح أم لم يصح ، فإن الواقع يشهد بخلاف ما ذكره القائل ، فقد ذل العرب يوم بدر ويوم الأحزاب ، وصار في ذلهم عز الإسلام وظهوره ، وانتصر العرب يوم أحد وصار في انتصارهم ذل المسلمين والمضرة عليهم ، ولكن الله سبحانه لطف بأوليائه وأحسن لهم العاقبة ، فهل يستطيع هذا القائل أن يدعي خلاف هذا الواقع ؟ وهل يمكن أن يقول : إن انتصار العرب الكافرين بالله ، المحاربين لدينه ، انتصار للإسلام ، من قال هذا فقد قال خلاف الحق ، وهو إما جاهل أو متجاهل ، يريد أن يلبس الحق بالباطل ويخدع ضعفاء البصائر ، سبحانه الله ما أعظم شأنه.

ثم أعود فأوضح للقارئ أن الحديث المذكور ضعيف الإسناد ، ولا يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الحافظ أبو الحسن الهيثمي في " مجمع الزوائد " لما ذكر هذا الحديث بلفظ : « إذا ذلت العرب ذل الإسلام » رواه أبو يعلى ، وفي إسناده محمد بن الخطاب ضعفه الأزدي وغيره ، ووثقه ابن حبان . انتهى . وقال الحافظ الذهبي في " الميزان " في ترجمة محمد المذكور - قال أبو حاتم : لا أعرفه ، وقال الأزدي : منكر الحديث ، انتهى . قلت : وفي إسناده أيضا علي بن زيد بن جدعان ، وهو ضعيف عند جمهور من الخدثين لا يحتج بحديثه لو سلم الإسناد من غيره ، فكيف وفي الإسناد من هو أضعف منه وهو محمد بن الخطاب المذكور . وأما توثيق ابن حبان له فلا يعتمد عليه لأنه معروف بالتساهل وقد خالفه غيره.

ولو صح الحديث لكان معناه : إذا ذل العرب الحاملون راية الإسلام والدعوة إليه ، لا العرب المتكبرون له الداعون إلى غيره . ولا يجوز أن يرد في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يخالف القرآن الكريم والأحاديث

الصحيحة أبداً ، فإن كلام الله لا يتناقض ، وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك ، والسنة لا تخالف القرآن بل تصدقه وتوافقه وتدلل على معناه وتوضح ما أجمل فيه¹

وقد علق الله سبحانه في القرآن النصر على الإيمان بالله والنصر لدينه ، فلا يجوز أن يرد في السنة ما يناقض ذلك ، فتنبه أيها المؤمن ، واحذر من الشبهات المضللة ، والأحاديث المكذوبة ، والآراء الفاسدة والأفكار المسمومة ، فإن الخطر عظيم ، والمعصوم من عصمه الله سبحانه ، فاعتصم به وتوكل عليه وتفقه في دينه واستقم عليه تفز بالنجاة والعاقبة الحميدة.

وهذه الشبه وأمثالها تفسر لنا ما صح به الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث حذيفة : أنه قال : « كان الناس يسألون الرسول صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني ، فقلت : يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر ف جاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر ؟ قال " نعم " . قلت : وهل بعد ذلك الشر من خير ؟ قال : " نعم وفيه دخن " قلت : ما دخنه ؟ قال : " قوم يستنون بغير سنتي ويهتدون بغير هدي تعرف منهم وتنكر " قلت : فهل بعد ذلك الخير من شر ؟ قال : " نعم دعاة على أبواب جهنم من أجاهم إليها قذفوه فيها " قلت : يا رسول الله صفهم لنا ، قال : " هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا " قلت : فما تأمرني يا رسول الله إن أدركني ذلك ؟ قال : " تلزم جماعة المسلمين وإمامهم " قلت : فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام ؟ قال : " فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك " . « رواه البخاري ومسلم واللفظ للبخاري ، فهذا الحديث العظيم الجليل يرشدك أيها المسلم إلى أن هؤلاء الدعاة اليوم ، الذين يدعون إلى أنواع من الباطل كالقومية العربية ، والاشتراكية والرأسمالية الغاشمة . وإلى

الخلاعة والحرية المطلقة وأنواع الفساد كلهم دعاة على أبواب جهنم ، سواء علموا أم لم يعلموا ، من أجاهم إلى باطلهم قذفوه في جهنم ، ولا شك أن هذا الحديث الجليل من أعلام النبوة ، ودلائل صحة رسالة محمد صلى الله عليه وسلم حيث أخبر بالواقع قبل وقوعه ، فوقع كما أخبر .
فنسأل الله لنا وللسائر المسلمين العافية من مضلات الفتن ، ونسأله سبحانه أن يصلح ولاية أمر المسلمين وزعماءهم حتى ينصروا دينه ، ويحاربوا ما خالفه إنه ولي ذلك والقادر عليه.

¹ بل الحديث موضوع كما حقق ذلك الشيخ ناصر الدين الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة رقم 163 في بحث طويل مفيد وضمنه بما ذهب إليه الشيخ ابن باز حيث قال الألباني : جملة القول : إن فضل العرب إنما هو لمزايا تحققت فيهم ، فإذا ذهبت بسبب إهمالهم لإسلامهم ذهب فضلهم ، ومن أخذ بها من الأعاجم كان خيراً منهم « لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى » ومن هنا يظهر ضلال من يدعو إلى العروبة وهو لا يتصف بشيء من خصائصها المفضلة.

-الوجه الثالث : من الوجوه الدالة على بطلان الدعوة إلى القومية العربية : هو أنها سلم إلى موالاة كفار العرب وملاحقتهم من أبناء غير المسلمين واتخاذهم بطانة والاستنصار بهم على أعداء القوميين من المسلمين وغيرهم . ومعلوم ما في هذا من الفساد الكبير ، والمخالفة لنصوص القرآن والسنة ، الدالة على وجوب بغض الكافرين من العرب وغيرهم ومعاداتهم وتحريم موالاتهم واتخاذهم بطانة . والنصوص في هذا المعنى كثيرة منها قوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } { فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ } . . . الآية . سبحان الله ما أصدق قوله وأوضح بيانه ، هؤلاء القوميون يدعون إلى التكتل حول القومية العربية مسلمها وكافرها ، يقولون : نخشى أن تصيبنا دائرة ، نخشى أن يعود الاستعمار إلى بلادنا ، نخشى أن تسلب ثرواتنا بأيدي أعدائنا ، فيوالون لأجل ذلك كل عربي من يهود

ونصارى ومجوس ووثنيين وملاحدة وغيرهم تحت لواء القومية العربية ، ويقولون : إن نظامها لا يفرق بين عربي وعربي وإن تفرقت أديانهم ، فهل هذا إلا مصادمة لكتاب الله ومخالفة لشرع الله وتعد لحدود الله وموالاة ومعاداة وحب وبغض على غير دين الله ؟ فما أعظم ذلك من باطل وما أسوأه من منهج . القرآن يدعو إلى موالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين أينما كانوا وكيفما كانوا ، وشرع القومية العربية يأبى ذلك ويخالفه : { قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ } ويقول الله سبحانه : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَّةِ } إلى قوله تعالى : { وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ } .

ونظام القومية يقول : كلهم أولياء مسلمهم وكافرهم ، والله يقول : { شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ } ويقول سبحانه : { قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ } وقال تعالى { لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ } وشرع القومية ، أو بعبارة أخرى شرع دعايتها يقول : أقصوا الدين عن القومية ، وافصلوا الدين عن الدولة ، وتكتلوا حول أنفسكم وقوميتكم ، حتى تدركوا مصالحكم وتستردوا أمجادكم ، وكأن الإسلام وقف في طريقهم ، وحال بينهم وبين أمجادهم ، هذا والله هو

الجهل والتلبس وعكس القضية ، سبحانك هذا بهتان عظيم .

والآيات الدالة على وجوب موالاة المؤمنين ، ومعاداة الكافرين ، والتحذير من توليهم كثيرة لا تحفى على أهل القرآن ، فلا ينبغي أن نطيل بذكرها . وكيف يجوز في عقل عاقل أن يكون أبو جهل ، وأبو لهب ، وعقبة بن أبي معيط ، والنضر بن الحارث وأضرابهم من صنديد الكفار في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وبعده إلي يومنا هذا

إخوانا وأولياء لأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وسائر الصحابة ومن سلك سبيله من العرب إلى يومنا هذا . . هذا والله من أبطل الباطل وأعظم الجهل . وشرع القومية ونظامها يوجب هذا ويقتضيه ، وإن أنكره بعض دعاة جهالا أو تجاهلا وتليسا ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وقد أوجب الله على المسلمين : أن يتكاتفوا ويتكتلوا تحت راية الإسلام ، وأن يكونوا جسدا واحدا ، وبناء متماسكا ضد عدوهم ، ووعدهم على ذلك النصر والعز والعاقبة الحميدة كما تقدم ذلك في كثير من الآيات ، وكما في قوله تعالى : { وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا } الآية . وقال تعالى { : وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ } { إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ } { وَإِنْ جُنَدْنَا لَهُمُ الْعَالِيُونَ } فوعد الله سبحانه عباده المرسلين ، وجنده المؤمنين بالنصر والغلبة واستخلافهم في الأرض والتمكين لدينهم ، وهو الصادق في وعده ، { وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ } وإنما يتخلف هذا الوعد في بعض الأحيان بسبب تقصير المسلمين وعدم قيامهم بما أوجب الله عليهم من الإيمان بالله ، والنصر لدينه ، كما هو الواقع ،

فالذنب ذنبنا لا ذنب الإسلام ، والمصيبة حصلت بما كسبت أيدينا من الخطايا ، كما قال تعالى : { وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ } .

فالأوجب على العرب وغيرهم التوبة إلى الله سبحانه ، والتمسك بدينه ، والتواصي بحقه ، وتحكيم شريعته ، والجهاد في سبيله ، والاستقامة على ذلك من الرؤساء وغيرهم ، فبذلك يحصل لهم النصر ويهزم العدو ، ويحصل التمكين في الأرض ، وإن قل عددنا وعدتنا ، ولا ريب أن من أهم الواجبات الإيمانية : أخذ الحذر من عدونا ، وأن نعد له ما نستطيع من القوة ، وذلك من تمام الإيمان ، ومن الأخذ بالأسباب التي يتعين الأخذ بها ، ولا يجوز إهمالها ، كما في قوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ } وقوله تعالى { وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ } .

وليس للمسلمين أن يوالوا الكافرين أو يستعينوا بهم على أعدائهم فإنهم من الأعداء ولا تؤمن غائلتهم وقد حرم الله موالاتهم ، ونهى عن اتخاذهم بطانة ، وحكم على من تولاهم بأنه منهم ، وأخبر أن الجميع من الظالمين ، كما سبق ذلك في الآيات المحكمات ، وثبت في " : صحيح مسلم " عن عائشة رضي الله عنها قالت : « خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بدر فلما كان ب " حرة الوبرة " أدركه رجل قد كان يذكر منه جرأة ونجدة ، ففرح أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأوه فلما أدركه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : جئت لأتبعك وأصيب معك . قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم " تؤمن بالله ورسوله ؟ " قال : لا ، قال : " فارجع فلن أستعين بمشرك " قالت : ثم مضى حتى إذا كنا بالشجرة أدركه الرجل فقال له كما قال أول مرة ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم كما قال أول مرة ، فقال : لا ، قال : " فارجع فلن أستعين بمشرك " قالت :

ثم رجع فأدركه في البراء فقال له كما قال أول مرة : " تؤمن بالله ورسوله ؟ " قال : نعم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : " فانطلق . . » فهذا الحديث الجليل ، يرشدك إلى ترك الاستعانة بالمشركين ، ويدل

على أنه لا ينبغي للمسلمين أن يدخلوا في جيشهم غيرهم ، لا من العرب ولا من غير العرب ، لأن الكافر عدو لا يؤمن . . . وليعلم أعداء الله أن المسلمين ليسوا في حاجة إليهم ، إذا اعتصموا بالله وصدقوا في معاملته لأن النصر بيده لا بيد غيره ، وقد وعد به المؤمنين وإن قل عددهم وعدتهم كما سبق في الآيات وكما جرى لأهل الإسلام في صدر الإسلام ، ويدل على تلك أيضا قوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ } فانظر أيها المؤمن إلى كتاب ربك سنة نبيك عليه الصلاة والسلام كيف يحاربان موالاة الكفار والاستعانة بهم واتخاذهم بطانة ، والله سبحانه أعلم بمصالح عباده وأرحم بهم من أنفسهم ، فلو كان في اتخاذهم الكفار أولياء من العرب أو غيرهم والاستعانة بهم مصلحة راجحة لأذن الله فيه وأباحه لعباده ، ولكن لما علم الله ما في ذلك من المفسدة الكبرى والعواقب الوخيمة فنهى عنه وذم من يفعله وأخبر في آيات أخرى

أن طاعة الكفار وخروجهم في جيش المسلمين يضرهم ولا يزيدهم ذلك إلا خبالا كما قال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يُرْذُوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ } { بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ } وقال تعالى : { لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ } . فكفى بهذه الآيات تحذيرا من طاعة الكفار والاستعانة بهم وتنفيرا منهم وإيضاحا لما يترتب على ذلك من العواقب الوخيمة ، عافى الله المسلمين من ذلك . وقال تعالى : { وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ } وقال تعالى : { وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ } أوضح سبحانه أن المؤمنين بعضهم أولياء بعض ، والكفار بعضهم أولياء بعض ، فإذا لم يفعل المسلمون ذلك واختلط الكفار بالمسلمين وصار بعضهم أولياء بعض حصلت الفتنة والفساد الكبير ، وذلك بما يحصل

في القلوب من الشكوك والركون إلى أهل الباطل والميل إليهم ، واشتباه الحق على المسلمين نتيجة امتزاجهم بأعدائهم وموالاة بعضهم لبعض كما هو الواقع اليوم من أكثر المدعين للإسلام حيث ولوا (1) الكافرين ، واتخذوهم بطانة ، فالتبست عليهم الأمور بسبب ذلك ، حتى صاروا لا يميزون بين الحق والباطل ولا بين الهدى والضلال ، ولا بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، فحصل بذلك من الفساد والأضرار ما لا يحصىه إلا الله سبحانه .

وقد احتج بعض دعاة القومية على جواز موالاة النصارى والاستعانة بهم بقوله تعالى : { لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى } الآية ، وزعموا أنها ترشد إلى جواز موالاة النصارى لكونهم أقرب مودة للذين آمنوا من غيرهم ، وهذا خطأ ظاهر

وتأويل للقرآن بالرأي المجرد ، المصادم للآيات المحكمات المتقدم ذكرها وغيرها ، ولما ثبت في السنة المطهرة من التحذير من موالاة الكفار من أهل الكتاب وغيرهم وترك الاستعانة بهم ، وقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار » والواجب : أن تفسر الآيات بعضها ببعض ، ولا يجوز أن يفسر شيء منها بما يخالف بقيتها ، وليس في هذه الآية بحمد الله ما يخالف الآيات الدالة على تحريم موالاة الكفار من النصارى وغيرهم ، وإنما أتى هذا الداعية من سوء فهمه وتقصيره في تدبر الآيات ، والنظر في معناها والاستعانة على ذلك بكلام أهل التفسير المعروفين بالعلم والأمانة والإمامة ، ومعنى هذه الآية على ما قال أهل التفسير

، وعلى ما يظهر من صريح لفظها أن النصارى أقرب مودة للمؤمنين من اليهود والمشركين ، وليس معناها أنهم يوادون المؤمنين ، ولا أن المؤمنين يوادوهم ، ولو فرض أن النصارى أحبوا المؤمنين ، وأظهروا مودتهم لهم لم يجز لأهل الإيمان أن يوادوهم ويوالوهم ؛ لأن الله سبحانه وتعالى قد نهاهم عن ذلك في الآيات السالفات ومنها قوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ } الآية . وقوله تعالى { : لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ } الآية ، ولا ريب أن النصارى من الخاديين لله ولرسوله ، النابذين لشريعته ، المكذبين له ولرسوله عليه أفضل الصلاة والسلام . فكيف يجوز لمن يؤمن بالله واليوم الآخر ، أن يوادوهم أو يتخذهم بطانة ؟ نعوذ بالله من الخذلان وطاعة الهوى والشيطان.

وزعم آخر من دعاة القومية أن الله سبحانه قد سهل في موالاة الكفار الذين لم يقاتلونا ولم يخرجونا من ديارنا ، واحتج على ذلك بقوله تعالى : { لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ } وهذا كالذي قبله احتجاج باطل ، وقول في القرآن بالرأي المجرد ، وتأويل للآية على غير تأويلها . والله سبحانه حرم موالاة الكفار ونهى عن اتخاذهم بطانة في الآيات المحكمات ، ولم يفصل بين أجناسهم ولا بين من قاتلنا ومن لم يقاتلنا ، فكيف يجوز لمسلم أن يقول على الله ما لم يقل ، وأن يأتي بتفصيل من رأيه لم يدل عليه كتاب ولا سنة ؟ سبحانه الله ما أحلمه . وإنما معنى الآية المذكورة عند أهل العلم : الرخصة في الإحسان إلى الكفار ، والصدقة عليهم إذا كانوا مسلمين لنا بموجب عهد أو أمان أو ذمة ، وقد صح في السنة ما يدل على ذلك ، كما ثبت في الصحيح « أن أم أسماء بنت أبي بكر قدمت عليها في المدينة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وهي مشركة تريد الدنيا ، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أسماء أن

تصل أمها ، وذلك في مدة الهدنة التي وقعت بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين أهل مكة » ، وصح « عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أعطى عمر جبة من حرير فأهداها إلى أخ له بمكة مشرك » . فهذا وأشباهه من الإحسان الذي قد يكون سببا في الدخول في الإسلام والرغبة فيه وإيثاره على ما سواه ، وفي ذلك صلة للرحم ، وجود

على المحتاجين ، وذلك ينفع المسلمين ولا يضرهم ، وليس من موالاة الكفار في شيء كما لا يخفى على ذوي الألباب البصيرة.

وللقوميين هنا شبهة ، وهي أنهم يقولون : إن التكتل حول القومية العربية بدون تفرقة بين المسلم والكافر يجعل العرب وحدة قوية ، وبناء شامخا ، يهاجم عدوهم ويحترم حقوقهم . وإذا انفصل المسلمون عن غيرهم من العرب ضعفوا وطمع فيهم العدو . وشبهة أخرى وهي أنهم يقولون : إن العرب إذا اعتصموا بالإسلام وتجمعوا حول رايته حقد عليهم أعداء الإسلام ولم يعطوهم حقوقهم ، وتربصوا بهم الدوائر ، خوفا من أن يثيروها حروبا إسلامية ، ليستعيدوا بها مجدهم السالف ، وهذا يضرنا ويؤخر حقوقنا ومصالحنا المتعلقة بأعدائنا ويثير غضبهم علينا . والجواب : أن يقال : إن اجتماع المسلمين حول الإسلام ، واعتصامهم بحبل الله ، وتحكيمهم لشريعته ، وانفصالهم من أعدائهم والتصريح لهم بالعداوة والبغضاء ، هو سبب نصر الله لهم وحمايتهم من كيد أعدائهم ، وهو وسيلة إنزال الله الرعب في قلوب الأعداء من الكافرين حتى يهابوهم ويعطوهم حقوقهم كاملة غير منقوصة ، كما حصل لأسلافهم المؤمنين . فقد كان بين أظهرهم من اليهود والنصارى الجمع الغفير فلم يوالوهم ولم يستعينوا بهم ، بل والوا الله وحده ، واستعانوا به وحده ، فحماهم وأيدهم ونصرهم على عدوهم ، والقرآن والسنة

شاهدان بذلك ، والتاريخ الإسلامي ناطق بذلك ، قد علمه المسلم والكافر . وقد خرج النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر إلى المشركين ، وفي المدينة اليهود ، فلم يستعن بهم ، والمسلمون في ذلك الوقت ليسوا بالكثرة ، وحاجتهم إلى الأنصار والأعوان شديدة ، ومع ذلك فلم يستعن نبي الله والمسلمون باليهود ، لا يوم بدر ولا يوم أحد ، مع شدة الحاجة إلى المعين في ذلك الوقت ، ولا سيما يوم أحد . وفي ذلك أوضح دلالة على أنه لا ينبغي للمسلمين أن يستعينوا بأعدائهم ، ولا يجوز أن يوالوهم أو يدخلوهم في جيشهم ، لكونهم لا تؤمن غائلتهم ، ولما في مخالطتهم من الفساد الكبير وتغيير أخلاق المسلمين ، وإلقاء الشبهة وأسباب الشحناء والعداوة بينهم ، ومن لم تسعه طريقة الرسول صلى الله عليه وسلم وطريقة المؤمنين السابقين فلا وسع الله عليه . وأما حقد غير المسلمين على المسلمين إذا تجمعوا حول الإسلام ، فذلك مما يرضي الله عن المؤمنين ويوجب لهم نصره ، حيث أغضبوا أعداءه من أجل رضاه ، ونصر دينه والحماية لشريعته.

ولن يزول حقد الكفار على المسلمين ، إلا إذا تركوا دينهم واتبعوا ملة أعدائهم وصاروا في حزبهم ، وذلك هو الضلال البعيد والكفر الصريح ، وسبب العذاب والشقاء في الدنيا والآخرة ، كما قال سبحانه وتعالى : { وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنَّ آتِئْتَهُمْ بِغَدَاةٍ لِّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ }

وقال تعالى : { وَلَا يَزَالُونَ يَقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } وقال تعالى : { ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ } { إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ } فأبان الله سبحانه وتعالى في هذه الآيات البينات أن الكفار لن يرضوا عنا حتى نتبع ملتهم ، وندع شريعتنا ، وإهم لا يزالون يقاتلوننا حتى يردونا عن ديننا إن استطاعوا . وأخبر أنه متى أطعناهم واتبعنا أهواءهم كنا من المخلدين في النار إذا متنا على ذلك ، نسأل الله العافية من ذلك ، ونعوذ بالله من موجبات غضبه وأسباب انتقامه .

-الوجه الرابع : من الوجوه الدالة على بطلان الدعوة إلى القومية العربية أن يقال : إن الدعوة إليها والتكتل حول رايها يفضي بالجمع ولا بد إلى رفض حكم القرآن ، لأن القوميين غير المسلمين لن يرضوا تحكيم القرآن ، فيوجب ذلك لزعماء القومية أن يتخذوا أحكاما وضعية تخالف حكم القرآن حتى يستوي مجتمع القومية في تلك الأحكام ، وقد صرح الكثير منهم بذلك كما سلف ، وهذا هو الفساد العظيم ، والكفر المستبين والردة السافرة ، كما قال تعالى : { فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا } وقال تعالى : { أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَنْعُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ } وقال تعالى : { وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ } وقال تعالى : { وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ } وقال تعالى : { وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ } وكل دولة لا تحكم بشرع

الله ، ولا تنصاع لحكم الله ولا ترضاه فهي دولة جاهلية كافرة ظالمة فاسقة بنص هذه الآيات المحكمات ، يجب على أهل الإسلام بغضها ومعاداتها في الله ، وتحرم عليهم مودتها وموالاتها حتى تؤمن بالله وحده وتحكم شريعته وترضى بذلك لها وعليها ، كما قال عز وجل : { قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ. }

فالواجب على زعماء القومية ودعاتها أن يحاسبوا أنفسهم ويتهموا رأيهم ، وأن يفكروا في نتائج دعوتهم المشئومة ، وغاياتها الوحشية ، وأن يكرسوا جهودهم للدعوة إلى الإسلام ونشر محاسنه والتمسك بتعاليمه والدعوة إلى تحكيمه بدلا من الدعوة إلى قومية أو وطنية ، وليعلموا يقينا أنهم إن لم يرجعوا إلى دينهم ويستقيموا عليه ويحكموه فيما شجر بينهم ، فسوف ينتقم الله منهم ويفرق جمعهم ويسلبهم نعمته ويستبدل قوما غيرهم يتمسكون بدينه ويحاربون ما خالفه كما قال تعالى : { وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ } وقال تعالى : { فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ }

{ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته » ثم قرأ قوله تعالى { وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ

شديدٌ . { فيا معشر القوميين : راقبوا الله سبحانه ، وتوبوا إليه ، وخافوا عذابه واشكروه على إنعامه ، وذلك بتعظيم كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم والعمل بهما ودعوة الناس إلى ذلك ، وتحذيرهم مما يخالفه ، ففي ذلك عز الدنيا والآخرة ، وصلاح أمر المجتمع ، وراحة الضمير وطمأنينة القلب ، والسعادة العاجلة والآجلة ، والأمن من عذاب الله في الدنيا والآخرة ، وكل ما خالف ذلك من الدعوات فهو دعوة إلى جهنم ، وسبيل إلى قلق الضمائر ، واضطراب المجتمع ، وتسليط الأعداء ، وحرمان السعادة والأمن في الدنيا والآخرة ، كما قال ذو العزة والجلال في كتابه المبين : { فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى } { وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى } . { قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا } ؟ { قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى } { وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى . }

فأبان سبحانه في هذه الآيات أن من اتبع هداه لم يضل ولم يشق ، بل له الهدى والسعادة في الدنيا والآخرة ومن أعرض عن ذكره فله المعيشة الضنك في الدنيا ، والعمى والعذاب في الآخرة . ومن ضنك المعيشة في الدنيا ما يتلى به أعداء الإسلام من ظلمة القلوب وحيرتها ، وما ينزل بها من الغموم والهموم والشكوك والقلق ، وأنواع المشاق في طلب الدنيا وجمعها والخوف من نقصها وسلبها ، وغير ذلك من أنواع العقوبات المعجلة في الدنيا ، كما قال الله سبحانه : { فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ } وقال تعالى : { وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ } والآيات في هذا المعنى كثيرة ، نسأل الله أن يصلح قلوبنا ، وأن يعرفنا بذنوبنا ، ويمن علينا بالتوبة منها ، وأن يهدينا وسائر إخواننا سواء السبيل إنه على كل شيء قدير .

ولنختم الكلام في هذا المقام بنبذة من كلام الكاتب المصري الشهير الشيخ : محمد الغزالي تتعلق بالقومية ، قد أجاد فيها وأفاد ، حيث قال في كتابه : (مع الله) صفحة 254 ما نصه :

لا مكان للإلحاد بيننا :

ما هؤلاء الناس ؟ إنهم ليسوا عربا ولا عجماء ولا روس ولا أمريكيان !! إنهم مسخ غريب الأطوار صفيق الصياح ، بليت به هذه البلاد إثر ما وضعه الاستعمار بها وترك بذوره في مشاعرها وأفكارها ، فهم - كما جاء في الحديث - « من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا » ، بيد أنهم عدو لتاريخنا وحضارتنا وعبء على كفاحنا ونهضتنا ، وعون

للحاقدين على ديننا والضائين بحق الحياة له ولمن اعتنقه . إن هؤلاء الناس الذين برزوا فجأة وملأت ضجتهم الأودية كما تملأ الضفادع بنقيقتها أكناف الليل ، يجب أن يمزق النقاب عن سريرتهم ، وأن تعرفهم هذه الأمة على حقيقتهم حتى لا يروج لهم خداع ولا ينطلي لهم زور ، إن هؤلاء الذين يلبسون مسوح العروبة ويندسون خلال صفوف المجاهدين ، ويزعمون أنهم مبشرون بالقومية العربية ورافعون لألويتها ، وفي الوقت نفسه ينسحبون من تقاليد العروبة ويهاجمون أجل ما عرفت به ، ويبعثون العوائق في طريق الإيمان ورسالته . إن هؤلاء الناس ينبغي أن يماط اللثام عن وجوههم الكالحة ، وأن تلقى الأضواء على وظيفتهم التي يسرها الاستعمار لهم ، ووقف بعيدا يرقب نتائجها المرة ، وما نتائجها إلا الدمار المنشود لرسالة القرآن وصاحبها العظيم محمد بن عبد

الله صلى الله عليه وسلم لقد قرأنا ما يكتبون ، وسمعنا ما يقولون ، ولم يعوزنا الذكاء لاستبانة غياقتهم ، فهم ملحدون مجاهرون بالكفر ، يقولون في صراحة : إن الإسلام ليس إلا نهضة عربية ، فاز بها هذا الجنس العظيم في القرون الوسطى ، واستطاع في فورته العارمة أن يحتاج العالم بقيادة رجل عبقرى ، هو الزعيم الكبير : محمد صلى الله عليه وسلم أي أن هذا الدين الجليل ، نبت من الأرض ، ولم ينزل من السماء ، وأنه انطلاقة شعب طامح فاتح ، وليس هداية مثالية فدائية ، جاءت من عند الله لتنقذ العرب من جاهلية طامسة ، كانوا بها في مؤخرة البشر ، إلى حنيفية سمحة رفعت خسيستهم ، ثم انتشر شعاعها بعد في أنحاء الأرض ، كما تنتشر الأضواء في عرض الأفق لدى الشروق . والفضل في ذلك كله لله وحده الذي اصطفى محمدا وامتن عليه بالهدى والحق بعد أن قال له : { مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ } وقال { : وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ } كما يقول في العرب الذين أرسل فيهم : { لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ }

يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ { فأى زحف عربي هنالك ؟ وأي عبقرية أنشأت من عندها هذا الغيث الممرع لأهل الأرض ؟ إن الزعم بأن الإسلام " ثورة عربية " أكذوبة كبرى وأضلولة شائنة ، وإن هذا القول ليس تكديبا للإسلام فقط بل دعوة خطيرة إلى تكذيب الديانات كلها ، وإلى إشاعة الكفر والفسوق والعصيان في أنحاء الأرض ، والغريب أن هؤلاء الناس يخاصمون الإسلام بعنف ، ويحاربون أمتهم مجبروت ، ويهادنون الأديان الأخرى من سماوية وأرضية ، كأن الإسلام هو العدو الذي كلفوا باستئصاله وحده ، لا بل هو العقبة الفذة التي وضعت المعاول في أيديهم لإحالتها ترابا . أجل ، وهل للاستعمار عدو في هذه البلاد إلا الإسلام ؟ إنه مصدر المقاومة العنيدة ، وروح الكفاح الباسل الذي أعيى المهاجمين وأحبط مؤامراتهم ، ومن ثم فعلى الاستعمار أن ينسج خيوطه حوله ليقتله ، ويحول بينه وبين الحياة الكريمة . ولقد ابتدع القوميات الضيقة واستجباها بشق الأساليب لينال من كيان هذا الدين ، فلما سقطت أمام الإسلام في المعركة دس أتباعه تحت لواء القومية العربية ،

وزودهم بضروب من الادعاء ليزحوا العرب المخلصين في هذا الميدان ، ولينالوا من الإسلام بطريقة أخرى ، وتفسير القومية العربية هذا التفسير الكفور الكنود ، هو حرب أخرى ضد الإسلام ، وإنه لجدير أن يتسمى هؤلاء بأتباع القومية العبرية لا العربية ، أليسوا يعملون لمصلحة الاستعمار وإسرائيل ؟ ولقد مرت أربعة عشر قرناً على اشتباك العروبة بالإسلام ، أو بتعبيرنا نحن أهل الإيمان : على تشريف الله للعرب بحمل هذه الأمانة وإبلاغها للناس ، ونظرة إلى الماضي البعيد تعرفنا بسهولة أن العرب مرت عليهم أدهار قبل الإسلام لم يكونوا فيها شيئاً مذكوراً ، ثم جاء هذا الدين فدخلوا التاريخ به ، وطار صيتهم تحت رايته ، وصدق الله إذ يقول { وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ } ثم أخطأ العرب ، فظنوا هذا الدين العالمي الذي نزلت فيهم آياته ، بمنحهم امتيازاً خاصاً ، ويجعلهم عنصراً أرقى من سائر الأجناس ، ونشأ عن هذا الخطأ رد الفعل الذي لا بد منه ، فقامت الشعوب الأخرى تدافع عن قيمة دمائها وكرامة عنصرها ، وهذه الأغلاط المتبادلة علتها حنين البشر إلى الجاهلية واستنقاذهم مؤنة السعي لتحصيل الكمال الإنساني ، فإذا عز على شخص

تافه أن يكون تقياً ينسبه عمله إلى الجند والعلا ، ذهب ينتحل نسباً آخر إلى أسرة أو وطن أو جنس ، ليرتفع به دون جهد ، وتلك كلها عصبية باطلة ونزعات نازلة ، ولا محل لها في دين ، ولا وزن لها عند رب العالمين . ولكن المهم أن العرب الأولين لما أرادوا المفاخرة والتميز كان الإسلام متكأهم ومعقد فخارهم ، فبأي شيء يملأون أفواههم إذا لم يذكروا الإسلام ؟ إن وطبهم خال وتاريخهم صفر ، حتى جاء الأفاكون في هذا الزمان بالبدعة التي لم يسمع بها إنسان فإذا العروبة في نظرهم يجب أن تتجرد من الإيمان ، وزعموا - قبحهم الله - أنها بالانسلاخ عن الدين تسمو وتسير ، بل إن أحد الكتاب من هذه العصابة وجد الوجه الذي يطالع به الناس ليقول : إن الإسلام جنى على العروبة ، وإن اللغة العربية قد انتشرت أبعد مما انتشر الإسلام ، وإن الإسلام - لأنه عالمي - ضار بالقومية العربية . وظاهر أن هذا الكلام ، بقطع النظر عن بطلانه ، إنما يروج لحساب الاستعمار الغربي منه والشرقي على السواء ، وأن قائله يخدم أهداف الغزاة الذين عسكرت جيوشهم في بعض أقطار العروبة وأنزلت بها الهون ، ووقفت على حدود البعض الآخر تتربص به الدوائر .

وكاتب آخر من هذه العصابة يطلب منا بإلحاح أن ننسى التاريخ ؛ لأنه لا يضم إلا رفات الموتى ، وأن نتطلع إلى المستقبل فحسب . ونسي هذا الغر أن اليهود في كبد الشرق الأوسط أقاموا دولتهم بإمداد من التاريخ الموحى ، وأنهم جعلوا اسم إسرائيل علماً عليها . إنه حلال للناس جميعاً أن يستصحبوا تاريخهم في كفاحهم ، أما نحن المسلمين فحرام علينا أن نذكر فصلاً من هذا التاريخ ، وأن نستوحي منه عوناً في جهاد وأملًا في امتداد ، إنما قومية عبرية لا عربية ، تلك التي يبشر بها الملحدون وكارهو الإسلام ، ولقد عرف الأولون والآخرون أننا نحن المسلمين أحنى الناس على العروبة وأوصلهم لجدها وأخلصهم لقضاياها ، وأن هؤلاء القوميين لا خير فيهم بل إنهم مصمرون شطرون طويل وأذى ثقیل.

انتهى ما أردنا نقله للقراء من كلام الشيخ : محمد الغزالي هاهنا ، وقال أيضا في كتابه المذكور صفحة 347 ما
نص:_____هـ:

الهدم الروحي:

يجتهد الاستعمار في صرف المسلمين عن دينهم بكل ما يتاح له من وسائل ، وفي جعل حركات التحرر الناشطة في بلادهم مبتوتة العلاقة بالدين ، حتى تولد ميتة ، أو تحيا عقيمة لا ثمر لها ولا زهر . وما من نهضة في الأولين والآخرين إلا ولها دعامة معنوية تقوم عليها ، وسناد روحي تتحرك به . ولما كان عمل الدين في هذه الحالة ملاً القلوب بالضمائر الحية ، وبنى الأخلاق على الفضيلة ، وصبغ الحياة بتقاليد جامعة ومعلومة وواضحة ، ورص الصفوف على إحساس مشترك ، ودفعها إلى مصير واحد ، فإن الاستعمار استهدف إقصاء الدين عن آفاق البلاد كلها ، وتكوين أجيال غريبة عنه ، إن لم تكن كارهة له . . بل إن ذكر الإسلام أصبح محظورا في المناسبات الجادة والشنون الهامة ، وقد يحوم البعض حوله ولكنه يوجل من التصريح به ، كأن الإسلام مجرم ارتكب ذنبا ثم فر من القضاء الذي حكم بعقوبته فهو لا يستطيع الظهور في المجتمعات ، وربما تلوح له فرصة الظهور متنكرا تحت اسم مستعار فيتحرك قليلا هنا وهناك ، حتى إذا أحس انكشاف أمره استخفى من الأنظار ، يا عجبا ، لماذا يلقي الإسلام هذا الهوان كله ؟ والجواب : عند الاستعمار الذي يجر خلفه ضغائن القرون الأولى ويضع نصب

عينه ألا تقوم للإسلام قائمة في بلاده ، فهو حريص على خنقه في ميدان التربية والمعاملات والتشريع وسائر ألوان الحياة.

إنه يطمئن إلى مجتمع واحد ، المجتمع الذي مات ضميره والذي تفسخت أخلاقه ، في هذا المجتمع الذي غاصت منه معاني الفضل واستغلظت فيه غرائز الشره وزحفت فيه ثعابين الأثرة ، يستطيع الاستعمار أن يطمئن إلى يومه وغده ، فإذا جاء الإسلام لمسح هذه الأقدار ، طلب منه على عجل أن يعود إلى وكره ليخفى عن الأعين . . إنه اسم لا ينبغي أن يذكر وحقيقة لا يجوز أن تعيش.

هكذا حكم الاستعمار ، حتى قيض الله لنا فكرة العروبة عنوانا نستطيع تحته أن ندفع غوائل الموت . وقد هششنا للفكرة ، ورجونا من ورائها الخير . . وللعروبة المجردة مثل تعكر على الاستعمار مآربه . . إن التعليم في ظل الاحتلال الأجنبي أوجد أناسا تحركهم الشهوات وحدها ، أناسا فرغت عواطف اليقين من أفئدتهم فهي هواء ، فإذا جاءت إليهم العروبة فهل يعرفون أن العفة من خلائقتها ، وأن تقديس العرض من شمائلها ، وأن المحافظة على الحريم من صفاتها الباطنة والظاهرة . . إن أمثال العرب في الجاهلية تشهد بما لهم من غيرة على نساءهم ، فامثل القائل : (كل ذات صدار خالة) يعني : أن العرب يجعلون في حكم الخالة كل من تلبس ثياب المرأة ، فما ينظرون إليها إلا نظرة الاحترام والعفة ، وذلك أن الخالة بمنزلة الأم ، ويقول الشاعر:

وأغض طرفي إن بدت لي جارقي ... حتى يوارى جارقي مثواها (البيت لعنترة)

ويقول الآخر:

ولا ألقى لذي الدوعات سوطي ... أداعبه ، ورييته أريد . . . ! (البيت لعقمة بن علقمة المري)

يعني : أنه يداعب طفلا مع أمها ابتغاء إثم بالأم نفسها . فهل هذه الشوارع الغاصة بمتبعي العورات وبغاة الدنية شوارع عربية ؟ وهل عرب أولئك الذين ترى الواحد منهم يتأبط ذراع فتاة متبرجة لعوب تسير في وضع يقول لكل ناظر (هيت لك) ؟ والعرب الأقدمون كانوا أصحاب كرم غريب وإيثار لامع وهوض بالحق على عض الزمن وشدة الحاجة ، واسمع قول عروة بن الورد:

وإني امرؤ عافى إنائي شركة ... وأنت امرؤ عافى إنائك واحد
أهزأ مني أن سمحت وأن ترى ... بوجهي شحوب الحق والحق جاهد
أفرق جسمي في جسوم كثيرة ... وأحسو قراح الماء والماء بارد

أرأيت صورة الإنسان النبيل ، يؤثر غيره بالطعام ويستعيز برشحات من الماء البارد يصفر بها وجهه وهو يأبى
تضييع من نزلوا به ، وحسبه أنه فرق جسمه في جسوم كثيرة.

احتفظ بهذه الصورة ، ثم سل نفسك : أمدن عربية هذه التي تراها مزدحمة بأصحاب الفضول من المال النامي ،
ومع ذلك فقلما تؤوي يتيما ، أو تغذو محروما . وما لنا نبحث عن الشوائب العربية المفقودة في بيئات مسخها
الاستعمار وترك عليها طابع الحيوانية والتقطع ، إنك ترى الواحد من أولئك يقول إنه عربي ولغة العرب لا
تستقيم على فمه . ومن أعاجيب الليالي أن أسمع المذيع مثلا يقول : يا أخي المواطن ، أحنا بنعمل إيه في هذه
الأيام . وكان يستطيع أن يقول ما نعمل في هذه الأيام ، ولكنه حريص على تخليد لغة الرعاع والتكرار للغة
الفصحى وهي اللغة التي ترسل بها الإذاعات من جميع محطات العالم لمستمعيها على اختلاف ألسنتهم إذ أنه يخاطب
المذيع قومه في أي عاصمة بلغة غير الفصحى ، فهل من مظاهر الوفاء لعروبتنا أن نذيع نحن بلغة الرعاع ؟

الواقع : أن الإسلام وحده هو الذي يخلد العروبة لغة وأدبا وخلقا ، وأن التنكر لهذا الدين معناه القضاء الحقيقي على العروبة في لغتها وأدبها وخلقها ، ولذلك يجب على الدعاة أن يستميتوا في إبراز هذا الاسم بقدر ما يستमित الاستعمار في إخفائه ، وأن يذهبوا عنه الوحشة التي صنعها أعداؤه حوله ، حتى يصبح مألوفا في الآذان ، محببا إلى القلوب ، وإظهار هذا الاسم لا يكفي ، فما قيمة شكل لا جوهر له . يجب على الدعاة أن يجمعوا الجماهير على تعاليمه " وأن ينعيشوا أنفسهم بروحه " .

الضمير الديني الخاشي لله ، الرحيم بخلقه ، المحتفي بالواجبات ، النفور من الرذائل ، الشجاع في نصره الحق ، المستعد للقاء الله ، المتأسي بصاحب الرسالة ، هذا الضمير ، يجب أن ندعمه بل أن نوجده في كل طائفة ، وأن يربط به إنجاز كل عمل ونجاح كل مشروع ، ومنع كل تفريط ، وصيانة كل حق ، فالإسلام قبل كل شيء قلب كبير ، قلب موصول بالله ، يبادر لمرضاته ويتقيه حيث كان ، وهذا القلب لا يتكون من تلقاء نفسه ، ويستحيل أن يتكون بداهة وسط تيارات الشكوك والتجهيل التي تسلط عليه عمدا ليتوقف ويزيغ ، إنه يتكون بأغذية روحية منظمة ، تقدم له في برامج التعليم ، وفي عظات المساجد ، وفي صبغ البيئة بمعان معينة ، تساعد على احترام الفضيلة وإشاعتها ، ونحن أحوج ما نكون لإنشاء هذه الضمائر في الذراري المحدثات التي عريت عنها ، والطبقات الكثيفة التي مردت على العبث والاستخفاف بجميع القيم ، وإنني أستغرب كيف نشترى آلة ما بأعلى الأسعار ، ثم نوقف أمامها عاملا لا يتقي الله ، فهي تخرب بين يديه على عجل أو يقل إنتاجها لو قدر لها البقاء سليمة . إننا لو بذلنا شيئا زهيدا لغرس التدين الحق في قلب هذا العامل لربحنا الكثير ، أفلا يبذل المسئولون

هذا الشيء بالزهد ، ولو على اعتبار نفقات صيانة للآلة التي اشترت ؟ إن من حق الله علينا ومن حق بلادنا علينا أن نربي الصغار والكبار باسم الإيمان لا ابتداء عمل ما ، فسوف يتم على خير الوجوه . إن للضمير الديني علاقة راشدة بالسماء ، ونواة مباركة في الأرض ، وما أصدق قول الأستاذ أحمد الزين في وصفه:

هو صوت السماء في عالم ال ... أرض وروح من اللطيف الحبير
وشعاع تذوب تحت سنائه ... خدع العيش من رياء وزور
هو سر يحار في كنهه اللب ... وتعيها به قوى التفكير
مبلغ العلم أنه روح خير ... باطن الشخص ظاهر التأثير
كل حي عليه منه رقيب ... حل من قلبه مكان الشعور
حل حيث الأهواء تنزو إلى الإث ... م وتقفو إلى مهاوي الشرور
جامحات أعيت على الناس كبحا ... رغم إنذارها بسوء المصير
ثم صاح الضمير فيها نذيرا ... فأصاحت إلى صياح النذير
هو روح من الملائك يسمو ... بسليل الثرى لعالم نور

قد تولت بالأنبياء عصور ... وهو باق على توالى العصور
حافظا في الزمان ما خلفوه ... قائما في الصدور بالتذكير
حاملا من شرائع الخير كتبنا ... قدست من صحائف وسطور
ليس يعفو عن الهنات وإن أن ... ت ملح في اللوم والتعذير

ونحن ننشد هذا الشعر هنا تكريما للأدب العالي ، وإلا فلا مجال لقول بعد أن نتدبر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب »

انتهى المقصود من كلام الغزالي في كتابه : (مع الله) . ولعظيم فائدته نقلته هاهنا . وأسأل الله عز وجل أن يصلح قلوب المسلمين ويعمرها بتقواه ، وأن يمن علينا وعلى جميع شبابنا وسائر إخواننا بالفقه في الدين ، والاستقامة على صراط الله المستقيم ، فإن ذلك هو سبيل النجاة والفوز بالعزة والكرامة في الدنيا والآخرة ، كما قال الله سبحانه : { إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } { أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } وقال تعالى { إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ } { نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ } { نَزَّلْنَا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ } وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « " من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين » ؛ والله أعلم.

وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

تكميل في المحرم من العام الماضي ، أعني : عام 1380 سألني مندوب صحيفة " البلاد " عن مسائل ، بعضها يتعلق بالقومية ، فأجبت بما نشر في صحيفة البلاد . ولتكميل الفائدة للقراء رأيت أن أذكر السؤال والجواب هاهنا وهذا نصها :

السؤال الأول : ما رأي فضيلتكم في الدعوة التي تقوم بها بعض الأوساط الخارجية إلى أن القومية العربية وحدها هي الرابطة الأولى بين العرب ؟

السؤال الثاني : ما رأي فضيلتكم في الاتجاه الذي يبدو واضحا في هذه الأيام للمقارنة بين القومية والإسلام ، والذي يظهر في بعض الجرائد والمجلات بالملكة ؟

السؤال الثالث : بعض المخلصين من الوعاظ يعالجون في وعظهم الأمور البسيطة الفرعية في الدين كطريقة حلاقة الرأس ، أو شكل الملابس ، في حين أن هناك أمورا هامة تتصل بالعقيدة ، تحتاج من هؤلاء المخلصين من الدعاة

إلى عناية خاصة لأنها أمور هامة أساسية ، فما رأي فضيلتكم في هذا ؟
السؤال الرابع : تود جريدة البلاد أن تحمل من فضيلتكم نصيحة إلى قرائها من مختلف الطبقات فما هي ؟.

الجواب عن السؤال الأول : أن يقال : لا ريب أن الدعوة إلى أن تكون القومية العربية هي الرابطة الأولى بين العرب ، دعوة باطلة لا أساس يؤيدها لا من العقل ولا النقل ، بل هي دعوة جاهلية إلحادية يهدف دعاؤها إلى محاربة الإسلام ، والتملص من أحكامه وتعاليمه . وقد يدعو إليها من لا يقصد هذا المعنى وإنما دعا إليها تقليدا لغيره وإحسانا للظن به ، ولو عرف حقيقة المقصود منها لخارجها وابتعد عنها . وكل من له أدنى معرفة بتاريخ العرب قبل الإسلام وبعده يعلم إنه لم يكن للعرب كبير قيمة تذكر ولا راية ترهب إلا بالإسلام ، وبه فتحوا البلاد وسادوا العباد . وبه كانوا أمة مرهوبة الجانب ، محترمة الحقوق مرفوعة الرأس ، حتى غيروا فغير عليهم ، كما قال الله سبحانه { : إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ } الآية . ولا أحب أن أطيل في هذا الميدان لأن الصحيفة لا تتحمل ذلك ، والحق في ذلك أوضح من الشمس ، لا يرتاب فيه من له أدنى إلمام بحال العرب والإسلام ، وما أحسن قول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : { فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } }

وإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ { وقوله تعالى : { لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ 59 } وإذا كان الهدف من الدعوة إلى القومية العربية أن يجتمع العرب ، وأن يشتركوا في مصالحهم ، وأن ينتصفوا من عدوهم ويطردوه عن بلادهم ، فليس هذا هو السبيل إلى هذا الغرض النبيل ، وإنما السبيل الوحيد هو الرجوع إلى دينهم الحق ، الذي به شرفوا وعرفوا وبرزوا في الميدان ، وسادوا الأمم ، والتمسك بتعاليمه السمحة وأحكامه الرشيدة ، وتحكيمه في كل شيء ، والموالة في ذلك والمعاداة فيه ، وبذلك يحصل الاجتماع ، وتدرك المصالح وينتصف من الأعداء ، ويكون النصر عليهم مضمونا والعاقبة حميدة في الدنيا والآخرة ، كما قال الله تعالى في محكم التنزيل : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ } وقال تعالى : { وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ } . { الَّذِينَ إِِنْ مَكَتَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ } وقال تعالى : { وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا } الآية . والآيات في هذا المعنى كثيرة معلومة ، وما أحسن ما قال مالك بن أنس - رحمه الله عليه - في هذا المعنى : " لن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها " لقد صدق هذا الإمام في هذه الكلمة القصيرة العظيمة . اللهم أصلحنا وولادة أمرنا جميعا وسائر المسلمين إنك سميع قريب .

وأما السؤال الثاني فالجواب عنه : أن يقال إن من أعظم الظلم وأسفه السفه أن يقارن بين الإسلام وبين القومية العربية ، وهل للقومية المجردة من الإسلام من المزايا ما تستحق به أن تجعل في صف الإسلام أن يقارن بينها وبينه ؟ لا شك أن هذا من أعظم المضم للإسلام والتكر لمبادئه السمحة وتعاليمه الرشيدة . وكيف يليق في عقل عاقل أن يقارن بين قومية لو كان أبو جهل ، وعتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة وأضرابهم من أعداء الإسلام أحياء لكانوا هم صناديدها وأعظم دعاؤها ، وبين دين كريم صالح لكل زمان ومكان ، دعائه وأنصاره هم : محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وعلي بن أبي طالب ، وغيرهم من الصحابة صناديد الإسلام وحماة الأبطال ، ومن سلك سبيلهم من الأخيار ؟ لا يستسيغ المقارنة بين قومية هذا شأنها ، وهؤلاء رجالها وبين دين هذا شأنه وهؤلاء أنصاره ودعائه ، إلا مصاب في عقله ، أو مقلد أعمى ، أو عدو لدود للإسلام ومن جاء به . وما مثل هؤلاء في هذه المقارنة إلا مثل من قارن بين البعر والدر ، أو بين الرسل والشياطين . ومن تأمل هذا المقام من ذوي البصائر ، وسبر الحقائق والنتائج ،

ظهر له أن المقارنة بين القومية والإسلام أخطر على الإسلام من المقارنة بين ما ذكر آنفا . ثم كيف تصح المقارنة بين قومية غاية من مات عليها النار ، وبين دين غاية من مات عليه الفوز بجوار الرب الكريم ، في دار الكرامة والمقام الأمين ؟ اللهم اهدنا وقومنا سواء السبيل ، إنك على كل شيء قدير .

الجواب الثالث : لا ريب أن المرشدين هم أطباء المجتمع ، ومن شأن الطبيب أن يهتم بمعرفة الأدوية ثم يعمل على علاجها بادئاً بالأهم فالأهم ، وهذه طريقة أنصح الأطباء وأعلمهم بالله وأقومهم بحقه وحق عباده : سيد ولد آدم عليه من ربه أفضل الصلاة والتسليم ، فإنه صلى الله عليه وسلم لما بعثه الله بدأ بالنهاي عن أعظم أدواء المجتمع وهو الشرك بالله سبحانه ، فلم يزل صلى الله عليه وسلم من حين بعثه الله يحذر الأمة من الشرك ويدعوهم إلى التوحيد إلى أن مضى عليه عشر سنين ، ثم أمر بالصلاة ، ثم ببقية الشرائع ، وهكذا الدعاة بعده : عليهم أن يسلكوا سبيله وأن يقتفوا أثره ، بادئين بالأهم فالأهم ، ولكن إذا كان المجتمع مسلماً ساغ للداعي أن يدعو إلى الأهم وغيره ، بل يجب عليه ذلك حسب طاقته ، لأن المطلوب إصلاح المجتمع المسلم وبذل الوسع في تطهير عقيدته من شوائب الشرك ووسائله ، وتطهير أخلاقه مما يضر المجتمع ويضعف إيمانه . ولا مانع من بداءته بعض الأوقات بغير الأهم ، إذا لم يتيسر الكلام في الأهم ، ولا مانع أيضاً من اشتغاله بالأهم وإعراضه عن غير الأهم إذا رأى المصلحة في ذلك وخاف إن هو اشتغل بهما جميعاً أن يخفق فيهما جميعاً . وهكذا

شأن المصلحين والأطباء المبرزين ، يهتمون بطرق الإصلاح ويسلكون أنجعها وأقربها إلى النتيجة المرضية ، وإذا لم يستطيعوا تحصيل المصلحتين أو المصالح ، أو تعطيل المفسدتين أو المفاسد اهتموا بالأهم من ذلك واشتغلوا به دون غيره . ومن تأمل قواعد الشرع وسيرة الرسول عليه الصلاة والسلام وسيرة خلفائه الراشدين والأئمة الصالحين علم ما ذكرته ، وعرف كيف يقوم بإرشاد الناس ، وكيف ينتشلهم من أدوائهم إلى شاطئ السلامة . ومن

صلحت نيته وبذل وسعه في معرفة الحق ، وطلب من مولاه الهداية إلى خير الطرق وأنجعها في الدعوة ، واستشار أهل العلم والتجارب فيما أشكل عليه ، فاز بالنجاح وهدى إلى الصواب ، كم قال سبحانه : { وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ. }

الجواب الرابع : نصيحتي لجميع القراء هي أن يأخذوا بوصية الله سبحانه التي أوصى بها في كتابه الكريم حيث يقول : { وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ } والتقوى كما يعلم القارئ الكريم كلمة جامعة ، حقيقتها أن يتقي العبد غضب الرب وعذابه ، بفعل ما أمر الله به ورسوله ، وترك ما نهى الله عنه ورسوله ، عن علم وإيمان وإخلاص ومحبة ورغبة ورهبة ، وبذلك يفوز بالسعادة وحسن العاقبة في الدنيا والآخرة ، ومما أنصح به القراء - وهو من جملة التقوى - : التثبت في الأمور ، والترث في الحكم عليها ، إلا بعد دراستها من جميع نواحيها ، وبعد التحقق من معناها ومعرفته معرفة تامة بعرض ذلك المعنى على الميزان الشرعي وهو كتاب الله ، وما صح من السنة ، فما وافق ذلك الميزان قبل ، وما خالفه ترك ، ويجب أن يكون القارئ في دراسته للأشياء ، وعرضه لها على الميزان المذكور ، بعيدا كل البعد عن الإفراط والتفريط ، متجردا عن ثوبي التعصب والهوى ، ومتى سلم من هذه الأمور ، ودرس الأمور حق دراستها بإخلاص ، وقصد حسن ، وفق للحقيقة

وفاز بالصواب ، وحمد العاقبة ، وكم جرت العجلة على أصحابها وغيرهم من ويلات ومشاكل ، تذهب الأيام والليالي وآثارها وتبعتها باقية ؟ وكم حصل بسبب التعصب والهوى من فساد ودمار وعواقب لا تحمد ؟ نسأل الله السلامة من ذلك . ومما أنصح به القراء أيضا - وهو من أهم التقوى - دعوة العباد إلى الله سبحانه والتواصي بالحق والصبر عليه والتعاون على البر والتقوى ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة والتغيير حسب الطاقة كما في الحديث الصحيح : « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان. » وأسأل الله لجميع الثبات على الحق والعافية من مضلات الفتن ، إنه خير مسئول ، وأكرم مجيب ، والله أعلم ، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه وسلم

رسالة الشيخ "سيد غباشي"

"ابلاغ الحق إلى الحق"

[رسالة في حكم المشاركة في مجلس الشعب المصري]

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلوات الله عليه وآله وتسليماته، وبعد:

فإنه لما واجه بعض إخواننا ما أصدرته الكنيسة من دعوة النصارى إلى استخراج بطاقات الانتخابات بإصدار بيان مماثل، وزَّع بالآلاف على المسلمين بلا تمييز، يدعوهم إلى الإسراع باستخراج تلك البطاقات، حتى يساهموا في تصحيح مسار البلد، وحدث في هذا الأمر خلاف بين فريق يستجيزه، وفريق لا يستجيزه، ويعده عملاً مخالفاً، ولما عمت بهذا الأمر البلوى، وهو أمر خطير كما سيتبين لك يا ذن الله، وصار عند عدد كثير من الأخوة، وكذا أهلهم هذه البطاقات، كان واجباً علينا بيان الحق في هذا الأمر، طاعة لقوله تعالى: (لَتَبَيِّنَنَّ لِلنَّاسِ لَآءَ تَكْتُمُونَهُ) ونحن نعلم أن ذلك يجلب علينا قهويل من لا ينظر للأمر على أنه بيان للحق، وطاعة لله ورسوله، ويدعي أن في ذلك فتنة، وأي فتنة أشد من كتمان الحق، وخاصة في مثل هذه المسألة الخطيرة، (أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا) وفي هذه المسألة ومثلها نتبع قوله تعالى: (فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ) وقوله تعالى (وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ) وقوله (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ، إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) فمن تدبر الأمر تدبر من يريد معرفة حق ليتبعه - لا من نظر بحكم الهوى - كأن الأمر غير شديد عليه، بل يسارع إلى اتباع الحق، وإعلان ذلك على الناس، وهذا هو مسلك أهل الحق، الداعين إلى الله ياذنه على بصيرة منه، هدايا الله وإياك سواء السبيل، وبعد:

(1) - "يجب الإيمان بأن الله أمر بعبادته وحده لا شريك له، كما خلق الجن والإنس لعبادته، وبذلك أرسل الرسل، وأنزل الكتب، وعبادته تتضمن كمال الذل والحب له، وذلك يتضمن كمال طاعته، وهذا الدين هو دين الإسلام، لا يقبل الله ديناً غيره، فالإسلام يتضمن الاستسلام لله وحده، فمن استسلم له ولغيره كان مشركاً، ومن لم يستسلم له كان مستكبراً عن عبادته، والمشتك به، والمستكبر عن عبادته كافر، والاستسلام له وحده يتضمن عبادته وحده، وطاعته وحده، فهذا دين الإسلام الذي لا يقبل الله غيره، وذلك إنما يكون بطاعته في كل وقت، بفعل ما أمر به في ذلك الوقت". - الرسالة التدمرية لابن تيمية ص 52-53 باختصار -

* وهذا هو دين الرسل ودعوتهم جميعاً، قال الله تعالى: (يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ) وقال تعالى: (أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ) وطاغوت كل قوم من يتبعونه وبطيعونهم من دون الله عز وجل، فمن شرع للناس شرعاً من دون الله عز وجل فأطاعوه، ولم ينكروا عليه فهو طاغوتهم الذي عبده من دون الله تعالى، نذكر الأدلة على هذا، ففي الحكم يقول تعالى: (وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) وفي التحاكم قال تعالى: (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً) ومعلوم أن الحكم بغير ما أنزل الله حسيماً قال أعلم هذه الأمة: "من حكم جاحداً متعمداً فقد كفر، ومن أقر به ولم يحكم فهو كفر دون كفر"، تلك المسألة التي فيها هذا القول غير المسألة التي نعيشها، فإن من نكح شرع الله عز وجل ووضع للناس شرعاً من عنده جعله السلطان الأعلى (كما سيتضح لك من أقوالهم بإذن الله) وحارب من يسعى لإقامة شرع الله لا شك في كفر هذا، وكفر من رضى به وتابعه وأطاعه في الأمر أو بعضه "فإن من استحاز شرعة خلاف شرعة الله عز وجل فهو كافر بالإجماع" كما قال ابن حزم وابن تيمية، ويقول الشنقيطي: "فالإشراك بالله في حكمه كالإشراك بالله في عبادته" -أضواء البيان ج7-

* سواء أكان متقلد هذه المكانة -التشريع الذي لا ينبغي إلا لله تعالى- حاكماً أو هيئة تأسيسية، أو مجلساً للتشريع، فالإسلام لا يعرف حكم الشعب أو الديمقراطية، بل الكل منقاد لحكم الله تعالى وحده، والشورى إنما شأنها في المعاملات المأذون في التصرف فيها، أو في المسائل الاجتهادية لاستبانة الصواب فيها مما ليس هذا موضع بسطه.

* القرطبي، تفسير قوله تعالى: (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا...) آل عمران: (وَلَا يَتَّخِذْ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ) أي لا نتبعه في تحليل شيء أو تحريمه إلا فيما حلله الله تعالى، وهو نظير قوله تعالى: (اتَّخِذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ) معناه: أنهم أنزلوهم منزلة ربهم في قبول تحريمهم وتحليلهم لما لم يحرمه الله، ولم يحله الله، وهذا يدل على بطلان القول بالاستحسان المجرد الذي لا يستند إلى دليل شرعي... قوله تعالى: (فَإِنْ تَوَلَّوْا) أي أعرضوا عما دعوا إليه (فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) أي متصفون بدين الإسلام، منقادون لأحكامه، معترفون بالله علينا في ذلك من المن والنعيم، غير متخذين أحداً رباً لا عيسى ولا عزيزاً لأنهما بشر مثلنا، محدثون كحدوثنا، ولا نقبل من الرهبان شيئاً بتحريمهم علينا ما لم يحرمه الله علينا فنكون قد اتخذناهم أرباباً...

* ابن كثير، تفسير قوله تعالى: (أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ): ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم المشتمل على كل خير، والناهي عن كل شر، وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات، مما يضعونها بآرائهم وأهوائهم، وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن ملكهم جنكيزخان الذي وضع لهم (الياسق) وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها من شرائع شتى من اليهودية والنصرانية، والملة الإسلامية، وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه،

فصارت في بنيه شرعاً متبعاً، يقدمونها على الحكم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ومن فعل ذلك منهم فهو كافر يجب قتاله، حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله، لا يحكم سواه في قليل ولا كثير.

* قال الشيخ أحمد شاكر: إن الأمر في هذه القوانين الوضعية واضح وضوح الشمس، هي كفر بواح لا خفاء فيه ولا مداورة، ولا عذر لأحد ممن ينتسب للإسلام كائناً من كان في العمل بها، أو الخضوع لها، أو إقرارها.

* تفسير البيضاوي: (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا...):

ولا نطيع الأحرار فيما أحدثوا من التحريم والتحليل لأن كلاً منهم بشر مثلنا، لما نزلت الآية: (اتَّخِذُوا أَحِبَّارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّنْ دُونِ اللَّهِ) قال عدي بن حاتم: ما كنا نعبدكم يا رسول الله؛ قال: "أليس كانوا يحلون لكم، ويحرمون لكم".

(2) - فإذا فهمت ما سبق يا أخي فاعلم أنه أصل المسألة أن هذه المؤسسات أسست على شفا جرف هار من الشرك، فانهار بأهله في جهنم، وخروا من السماء فتخطفتهم الطير، أو هوت بهم الريح في مكان سحيق، إلا من كان جاهلاً فتعلم وتاب إلى ربه وأصلح.

ولتعلم ذلك ننقل بعض النقول من كتبهم:

* كتاب "مدخل دستوري" د. سيد صبري: "القانون هو قاعدة آمرة أو مانعة، يضعها صاحب السلطان، تقنن للصالح العام، لا للصالح الخاص، وللجميع لا لشخص معين، وللمستقبل بدون انقطاع.

وعن خصائص القاعدة القانونية، أنها ملزمة، القانون ليس نصيحة، ولكنه أمر، وهو ليس أمراً من أي رجل، ولكنه أمر صادر ممن يدان له بالطاعة، وموجه إلى من تجب عليه الطاعة.

ويقول د. سيد صبري: "القوانين الدستورية هي القوانين الأساسية، وهي العمل الرئيس لسيادة الأمة، والسلطة التي تضعها يطلق عليها السلطة المؤسسة [سنذكر هذا عند الكلام على وضع الدستور]، وهذه القوانين هي مصدر جميع السلطات، تشريعية وتنفيذية وقضائية، وهي سابقة على القوانين العادية وأعلى منها، وأن على السلطة التشريعية - وهي سلطة مؤسسة لسن القوانين العادية - احترامها، بل إن هذه السلطة لا تستطيع تعديلها ولا إلغائها، كما لا تستطيع أن تشرع إلا في الحدود التي رسمتها لها هذه القوانين الدستورية، ونقول: أما السلطة المؤسسة نفسها فوظيفتها سن القوانين الدستورية المنظمة للسلطات، بما فيها السلطة التشريعية وأعضاء التشريعية، مقيدين بشروط خاصة عند تعديل القوانين الدستورية، [سنذكر بعد بإذن الله، وهي شروط لا تحقق، إما فعلاً، وإما بتدخل الحكام والطواغيت] غير الشروط التي يسنون بمقتضاها القوانين العادية، وللسلطة المؤسسة أن تمنع السلطة التشريعية من التقنين في بعض المسائل على وجه معين، وعلى هذا الأساس يمكن حماية الأفراد من الاستبداد البرلماني [أي أن السلطة المؤسسة (وهي إما الحاكم، أو لجنة يكونها من القانونيين وغيرهم) تضع مناهج الكفر، وهو الدستور الذي على المجلس التشريعي أن يلتزمه، وله أن يشرع باقي أصول الكفر وفروعه مطيعاً السلطة المؤسسة غير خارج عليها، وإذا أراد تعديل شيء من مناهجها، فلذلك شروط، سنذكر بإذن الله بعد عدة أبواب].

وعند كلامه على القوانين يقول: القوانين هي:

1- الدستور: القانون الأساس للدولة، وذلك في الدول ذات الدساتير المكتوبة، كمصر وفرنسا، [معلوم أن دساتير مصر كانت: دستور سنة 23، دستور سنة 56، دستور سنة 58، إعلان دستوري مارس سنة 64، ودستور سنة 71 الحالي، وأجرى عليه استفتاء شعبي قبل فيه بالإجماع كالعادة، وهو صاحب مبدأ "الديمقراطية الاشتراكية" ندعو الله أن يمحو أثره، ويجرف أهله، ويعلي شرعة الحق، ويتوفنا في سبيلها شهداء: آمين].

2- القوانين العادية: طالما هي قائمة، وإن كان من حق صاحب السلطان في الدول التشريع بلا قيد، ما دام في حدود اختصاصه، [صاحب السلطان عندهم بالهيئة التأسيسية: الشعب في الدول الجمهورية، ومجلسه الحق في تحويل رئيس الجمهورية إصدار تشريعات ملزمة بغير الرجوع إليه].

* يقول سيد صبري عن أنواع التشريع:

1- تشريع يوجد في القمة، وهو التشريع الدستوري، ويسمى أحياناً بـ (التشريع الأساسي)، في كتاب "مدخل الدراسة القانونية": نقسم الدساتير من حيث مصدرها إلى (4) أقسام:

1- دستور يصدر في شكل منحة من الحاكم، ويقره الشعب في استفتاء عام — ومعلوم أن الدستور المصري سنة 71 من هذا الأخير، والحاكم يضعه بنفسه أو بلجنة يكونها، وكان قد أشار السنهوري إلى وضع مادة تقول: "إن الشريعة الإسلامية المصدر الأساسي للتشريع" فغيرها جمال العطيفي إلى "مصدر أساسي" بأوامر ما، والأمر لا يختلف عند المسلم الفاهم المتبع للرسول، ولكنه يشغل بال أقوام — هذا الفرق بين اللفظين — ولعل البعض يظن أن المطالبة باللفظ الأول يعد عملاً إسلامياً عظيماً، وهؤلاء ظنوا أن الدعوات الحزبية وخططها مما يصلح للدعوة الربانية، وهذا مخالف كما ستعلم بإذن الله].

2- ويلي التشريع الدستوري (التشريع العادي) أو ما يسمى بـ (التشريع الرئيس) وهو الذي يصدر من السلطة التشريعية العادية — أي تلك التي يكل إليها الدستور أمر سن القوانين.

3- التشريع الفرعي: وهو الذي تباشره السلطة التنفيذية، ويشمل اللوائح والقرارات والمراسيم.

ويترتب على تدرج هذه الأنواع الثلاثة في الأهمية أنه لا يصح للتشريع الأدنى مرتبة أن يخالف التشريع الذي يعلوه.

* أما مرتبة الشريعة الإسلامية عندهم (وأشد من هذا كفراً ما سنقله بعد أبواب بإذن الله) يقول سيد صبري: إن المادة الثانية من المادة الأولى تنص أنه إذا فقد القاضي نصاً في التشريع، وحكماً في العرف، فصل في النزاع بمقتضى مبادئ الشريعة الإسلامية، فإذا لم توجد فبمقتضى القانون الطبيعي وقواعد العدالة، [أي أن الشريعة — كما صرح هو قبل ذلك — عندهم بعد التشريع القانوني، والعرف، وفوق القانون الطبيعي، وسواء أكان ذلك أم كانت بزعمهم مساوية لذلك، أو أكثر وذلك معها، فكله شرك على درجات، كما بينا في كلام ابن تيمية أول الرسالة].

يقول الشيخ أحمد شاكر: "نرى في بعض بلاد المسلمين قوانين ضربت عليها، نقلتها عن أوروبا الوثنية الملحدة، وهي قوانين تخالف الإسلام مخالفة جوهرية في كثير من أصولها وفروعها، بل إن في بعضها ما ينقض الإسلام ويهدمه، وذلك أمر واضح بديهي لا يخالف فيه إلا من يغالط نفسه، ويجهل دينه، أو يعاديه من حيث لا يشعر، وهي في كثير من أحكامها أيضاً توافق التشريع الإسلامي، أو لا تنافيه على الأقل، وإن العمل بها في بلاد المسلمين غير جائز حتى فيما وافق التشريع الإسلامي، لأن من وضعها حين وضعها لم ينظر إلى موافقتها للإسلام، أو مخالفتها، [انظر المسألة رقم (12) من هذه الرسالة]، إنما نظر إلى موافقتها لقوانين أوروبا أو لمبادئها وقواعدها، وجعلها هي الأصل الذي يرجع إليه فهو آثم مرتد بهذا سواء، أوضع حكماً موافقاً للإسلام أم مخالفاً، وقد وضع الشافعي قاعدة جليلة دقيقة في نحو هذا، ولكنه لم يضعها في الدين يشرعون القوانين عن مصادر غير إسلامية فقد كانت بلاد الإسلام إذ ذاك بريئة من هذا العار، ولكنه وضعها في المجتهدين العلماء من المسلمين، الذين يستنبطون الأحكام قبل أن يتثبتوا مما ورد في الكتاب والسنة الصحيحة، وقيسون ويجهلون برأيهم على غير أساس صحيح، فقال في كتاب (الرسالة) رقم 178- بشرحنا وتحقيقنا-: "ومن تكلف ما جهل، وما لم تثبته معرفته، كانت موافقته للصواب -إن وافقه من حيث لا يعرفه- غير محمودة، والله أعلم، وكان بخطئه غير معذور، إذا ما نطق فيما لا يحيط علمه بالفرق بين الخطأ والصواب فيه" ومعنى هذا واضح: أن المجتهد في الفقه الإسلامي على قواعد الإسلام لا يكون معذوراً إذا ما كان اجتهاده على غير أساس من معرفة، وعن غير تثبت في البحث عن الأدلة من الكتاب والسنة، حتى لو أصاب في الحكم أن تكون إصابته مصادفة لم تُبَنَ على دليل، ولم تبَن على يقين، ولم تبَن على اجتهاد صحيح، أما الذي يجتهد ويشرع!! على قواعد خارجة عن قواعد الإسلام فإنه لا يكون مجتهداً، ولا يكون مسلماً إذا قصد إلى وضع ما يراه من الأحكام، وافقت الإسلام أم خالفته، فكانت موافقته للصواب إن وافقه من حيث لا يعرفه، بل من حيث لا يقصده، غير محمودة، بل كانوا بها لا يقلون عنهم كفراً حين يخالفون وهذا بديهي، وليس هذا موضع الإفاضة والتحقيق في هذه المسألة الدقيقة، وما كان هو لمثل الذي نضربه، ولكنه تمهيد.

والمثل: أنا نرى كثيراً من المسلمين الذين عهد إليهم بتنفيذ هذه القوانين والقيام عليها بالحكم بها، أو بالشرح لها، أو بالدفاع فيها، نراهم مسلمين فيما يتبين لنا من أمرهم، يصلون ويحرمون على الصلاة، ويصومون ويحرمون على الصوم، ويؤدون الزكاة، ويجودون بالصدقات، راضية نفوسهم، مطمئنين، ويحجون كأحسن ما يحج الرجل المسلم، بل نرى بعضهم يكاد يحج هو وأهله في كل عام، ولن تستطيع أن تجد عليهم مغمزاً في دينهم، حرم أو رقص أو فجور، وهم فيما يفعلون مسلمين مطمئنين إلى الإسلام، راضين معتقدين عن معرفة ويقين، ولكنهم إذا مارسوا صناعتهم في القضاء أو التشريع أو الدفاع، لبستهم هذه القوانين، وجرت منهم كالشيطان مجرى الدم، فيتعصبون لها أشد العصبية، ويحرمون على تطبيق قواعدها والدفاع عنها، كأشد ما يحرم الرجل العاقل المؤمن الموقن بشيء يرى أنه هو الصواب، ولا صواب غيره، وينسون إذ ذاك كل شيء يتعلق بالإسلام في هذا التشريع، إلا ما يحدع به بعضهم أنفسهم أن الفقه الإسلامي يصلح أن يكون مصدراً من مصادر التشريع! فيما لم يرد فيه

نص في قوانينهم، ويحرصون كل الحرص على أن يكون تشريعهم تبعاً لما صدر إليهم من أمر أو ربة في معاهدة "منثرو" مطابقاً للتشريع الحديث، وكما قلنا مراراً في مواضع من كتبي وكتاباتي، وتبعاً لمبادئ التشريع الحديث، فهؤلاء الثلاثة الأنواع: المشرع والمدافع والحاكم يجمعون في بعض هذا المعنى، ويفترقون والمآل واحد، أما المشرع فإنه يضع هذه القوانين وهو يعتقد صحتها، وصحة ما يعمل، فهذا أمره بَيِّن، وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم، وأما المدافع فإنه يدافع بالحق وبالباطل، فإذا ما وقع بالباطل المخالف للإسلام معتقداً صحته فهو كزميله المشرع، وإن كان غير ذلك منافقاً خالصاً، مهما يعتذر بأنه يؤدي واجب الدفاع، وأما الحاكم فهو موضع البحث، وموضع المثل، فقد يكون له في نفسه عذر حين يحكم بما يوافق الإسلام من هذه القوانين، وإن كان التحقيق الدقيق لا يجعل لهذا العذر قيمة، أما حين يحكم بما ينافي الإسلام، مما نصّ عليه في الكتاب والسنة، ومما تدل عليه الدلائل، فإنه على اليقين ممن يدخل في هذا الحديث، قد أمر بمعصية القوانين التي يرى أنه عليه واجباً أن يطيعها أمرته بمعصية، بل بما هو أشد من المعصية، أن يخالف كتاب الله وسنة رسوله فلا سمع ولا طاعة، فإن سمع وأطاع كان عليه من الوزر ما كان على أمره الذي وضع هذه القوانين وكان كمثلته سواء.

(3)- مما سبق علمت شرعاً وحالاً أن هذا المجلس قائم على الشرك الواضح المتبالغ، والشرك ضلال مبین، وذنب عظيم لا يغفره الله أبداً إلا بالتوبة والإيمان، وصاحبه مخلد في النار، لذا كان تحذير الشرع منه أبلغ تحذير: (فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ) في تفسير البيضاوي: "كما تجتنب الأنجاس، وهو غاية المبالغة في النهي عن تعظيمها، والتنفير عن عبادتها"، (وَاجْتَنِبِي وَبَنِيَّ أَنْ تَعْبُدَ الْأَصْنَامَ) تفسير البيضاوي: "بعدي وإياهم، واجعلنا منها في جانب" ابن كثير: "على الإنسان أن يدعو لنبه ذلك" (بمعناه).

(وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ) تفسير البيضاوي: وضع فيه الظاهر موضع ضمير (الَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ) للدلالة على مبدأ اجتنابهم وأنهم نقاد في الدين يميزون بين الحق والباطل، ويؤثرون الأفضل فالأفضل (أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ...) الآية: العقول السليمة عن منازعة الوهم والعادة، وفي ذلك دلالة على أن الهداية تحصل بفضل الله، وقبول النفس لها. ١.هـ

(أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ) فعبر تعالى بلفظ الاجتناب للطاغوت، والاجتناب: المبالغة في الابتعاد والتوقي والاحتراز، لذا شدد الشرع وعظم في سدة ذرائع الشرك، كالبناء على قبور الصالحين، وتعظيمهم، وحتى الشرك القولي منه كالحلف...

فإذا اعتقدت هذه الأصول علمت أن الأصل في هذه المجالس الشركية هو الاجتناب والابتعاد والحظر بل ما هو أكثر من ذلك كما سترى بإذن الله تعالى.

* ولا يقال في هذه الحالة أن الأصل في الأمور المباحة، فإنه وإن كانت هذه القاعدة صحيحة فإن بعض الأمور الأصل فيها الحظر والمنع (مما ذكره العلماء في هذه الأمور -التي أصلها الحظر- الفروج، أي أنه لا يباح للرجل أن يطاء أي امرأة، بل يحظر عليه ذلك حتى تكون شروط النكاح من تجنب ذوات المحارم، واعتبار عدد الزوجات، والولي، والشهود، وكذا الأصل في أخذ أموال الغير الحظر إلا أن تكون هبة أو قضاء دين...) فإذا كان هذا

الجلس التشريعي مؤسس على الإشراف بالله تعالى، وأن شروط عضوه عندهم أن يلتزم بالدستور، بل ويستحلف على ذلك، أي يحلف على أن يكون مطيعاً للدستور الذي أوضحنا أنه أصل من أصول الكفر، وطاعته بذلك تكون كفراً، يقول الصنعاني في رسالة تطهير الاعتقاد: "وقد خرج الفقهاء في كتب الردة أن من قال كلمة الكفر يكفر وإن لم يقصد مدلولها"، ولا يقال أنه يعرض في ذلك، فإنه ليس يميناً مطلقاً، وفي صحيح مسلم: "اليمين على نية المستحلف" ولم يأت ما يخصه، ويستثنى من ذلك حالة الإكراه (إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ) ولم يستثن العلماء غير حالة الإكراه، وفسروه بالتهديد والضرب والأذى لحمله على قول الشيء، وليست حالتنا هذه إكراه أبداً كما هو معلوم، ثم في هذا تلبيس على أعضاء المجلس ورؤسائه بالحلف أمامهم على طاعة الدستور، وفيه إقرار الشرك أمامهم، بينما الدعوة إلى التوحيد، بل القيام به يخالف ذلك، يعرف ذلك من في قلبه التوحيد الحق، فبكل هذا الذي سقناه علمنا أن هذا المجلس أصل من أصول الكفر، يقول الشنقيطي في الرد على الصاوي في مسألة التقليد: "وأصول الكفر يجب على كل مسلم أنه يحذر منها كل الحذر، ويتباعد منها كل التباعد، ويتجنب أسبابها كل الاجتناب".

(4)- ونود أن نفرق في الحديث هنا بين أمرين اختلطا على البعض في هذه القضية، ذلك أن تولى الأعمال والوظائف التنفيذية من الكافر [وإن كان الصواب عدم تولى مثل ذلك] يختلف في أصله عن المجالس التشريعية التي نتكلم فيها، فهذه الوظائف جعل العلماء لها تفضيلاً سنذكره إن شاء الله تعالى.

أما هذا المجلس فباطل بأصله ولوازمه، ومعقل من معاقل الوثنية والشرك، لصفته اللازمة له وهي التشريع من دون الله عز وجل، ونعرض في هذه إلى المسألة الأولى وهي الوظائف، والتي يحتج فيها بقصة يوسف عليه السلام، والصواب الذي لا يتسع المجال لتفصيله هنا هو أن شرع من قبلنا ليس شرعاً لنا إلا بدليل من شرعنا، فقد نسخ شرعنا ما قبله من الشرائع، أما أصل الشرائع وهو التوحيد فهذا دعوة الرسل جميعاً (لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً)، (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ...)، ولكن نذكر هنا أقوال العلماء المميزين لمثل هذه المسألة، في تفسير قوله تعالى: (قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ) وقد ورد في التفسير كـ"الدر المنثور" للسيوطي عن مجاهد قال: "أسلم الملك الذي كان مع يوسف عليه السلام" وعن ابن زيد: "كان لفرعون خزائن كثيرة غير الطعام، فأسلم سلطانه كله له، وجعل القضاء إليه، أمره وقضاؤه نافذ"، وقيل: "كان الملك يصدر عن رأيه، ولا يعترض عليه في كل رأي، فكان كالتابع له"، "وأن يوسف عليه السلام باع في السنين التي حكمها حتى ملك أموال مصر، وسبى أهلها، ثم أطلقهم" وذلك في تفسير الآلوسي.

تبين من ذلك أن يوسف عليه السلام كان تام التصرف بشرع الله وحكمه لا بحكم الملك، ولا يجبره أحد على حكم الكفر، كيف وهو يقول لصاحبيه في السجن (إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ) ويقول: (رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ...)، وينفي عنه سبحانه وتعالى ذلك فيقول تعالى (كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ) فحكم عليه السلام على أخيه بحكم يعقوب عليه السلام، وأنطق الله إخوته بذلك، وكان حكم الملك مخالفاً،

وهذا هو الصواب في تفسير الآية، سواء كان الاستثناء في قوله تعالى (إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ) استثناءً متصلًا أو منقطعًا، وتفصيل هذا ليس موضعه هنا، ولكن المقصود أن يوسف عليه السلام كان تام التصرف، حاكمًا بشرع الله وحكمه، يقول ابن عباس: دين الملك، أي سلطانه، وعن ابن عيسى: أي عادته، وعن مجاهد: أي حكمه، وعند القاسمي: "أي ما صح له أن يأخذ أخاه في قضاء الملك، ويستدل به على جواز تسمية قوانين الكفر دينًا لها" ١. هـ فمن نسب بعد هذا البيان إلى نبي من أنبياء الله تعالى الحكم بقانون الكفر فقد كفر، نعوذ بالله تعالى من الخذلان، كيف والله تعالى يقول: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ) فكيف يطيع الرسول أحكام الكفر، سبحانه هذا بهتان عظيم.

(5) - أما ما استفاده العلماء من جهة تولي الأعمال، فيقول القرطبي: قال بعض أهل العلم في هذه الآية ما يبيح للرجل الفاضل أن يعمل [يقوم بمنصب] للرجل الفاجر، والسلطان الكافر، بشرط أن يعلم أنه يفوض إليه في فعل لا يعارضه فيه فيصلح منه ما شاء، وأما إذا كان عمله بحسب اختيار الفاجر وشهوته وفجوره، فلا يجوز ذلك، وقال قوم: إن هذا كان ليوسف خاصة، وهذا اليوم غير جائز، والأول أولى لما ذكرنا، [قد يظن البعض أن مجلس الشعب مفوض للأعضاء فيه الإصلاح بغير معارضة، فنقول: كما بينا أن الوظائف غير مجلس التشريع الذي أساسه الشرك، والمفوض في هذا المجلس هو التشريع من دون الله عز وجل لا الإصلاح (وذلك سيتضح أكثر بإذن الله عند بيان ذلك في مناقشة تعديل مادة دستورية) وإلا فالمعلوم أن الطاغوت يعارض في المناجاة بشرع الله، وذلك عند كل ذي فهم، إلا من طلب الجدال]، يقول القرطبي: قال الماوردي: فإن كان المولى ظالمًا فقد اختلف الناس في جواز الولاية من قبله على قولين:

أحدهما: جوازها إذا عمل بالحق فيما تقلده، لأن يوسف ولى من قبل فرعون، ولأن الاعتبار في حقه بفعله لا بفعل غيره.

الثاني: أنه لا يجوز ذلك لما فيه من تولي الظالمين بالمعونة، وتركيتهم بتقلد أعمالهم [وهذا نفسه أكثر في مسألتنا من ذلك، وهو اعتقاد الناس مشروعية المجلس، فلا يحذروا الشرك الواقع عليهم]، فأجاب من ذهب إلى هذا المذهب عن ولاية يوسف عليه السلام من قبل فرعون بجوابين:

أحدهما: أن فرعون يوسف كان صالحًا، وإنما الطاغى فرعون موسى.

الثاني: أنه نظر في أملاكه دون أعماله، فزال عنه التبعة فيه.

قال الماوردي: وأصح من إطلاق هذين القولين أن يفصل ما يتولاه من جهة الظالم على ثلاثة أقسام:

أحدها: ما يجوز لأهله فصله من غير اجتهاد في تنفيذه، كالصدقات والزكوات، فيجوز توليه من جهة الظالم، لأن النص (أي النص الشرعي) على مستحقه قد أغنى عن الاجتهاد فيه، وجواز تفرد أربابه (القائم بالوظيفة) قد أغنى عن التقليد (أي اتباع حكم الحاكم).

والقسم الثاني: ما لا يجوز أن يتفردوا به، ويلزم الاجتهاد في مصرفه كأموال الفيء، فلا يجوز توليه من جهة الظالم، لأنه يتصرف بغير حق، ويجتهد فيما لا يستحق.

القسم الثالث: ما يجوز أن يتولاه أهله، وللاجتهاد فيه مدخل كالقضايا والأحكام، فعقد التقليد محلول، فإن كان النظر تنفيذ الحكم بين متراضيين، وتوسيطاً بين مجبورين جاز، وإن كان إلزام إجبار لم يجوز^١ هـ—
لعله يكون قد اتضح أن العلماء تكلموا في وظائف تنفيذية بحتة، واشتروا أن يقوم فيها بالإصلاح بشرع الله، ويعلم أن الحاكم يتركه حر التصرف، وكلام الماوردي في الحاكم الظالم، والصدقات والفيء مما هو في أحكام المسلمين، والحكام الجائرين غير الكافرين، حتى ما كان فيه تدخل لاجتهاد الحاكم منعه الماوردي، فأين هذا من مجلس التشريع الذي يتقلد أمراً هو من خصائص الله عز وجل، من نازعه فيها فقد أشرك، فتدبر هذا فإنه لك نافع.

(6) - نعود إلى الكلام عن المجلس الشرعي، ودعوة الناس لاستخراج بطاقات الانتخاب، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

إن البيان الذي وزع على الناس تضمن أخطاء فظيعة نبه على أشياء منها. . "اليوم نناديكم كي تشاركوا في تصحيح مسار بلدنا إلى أقوم طريق" ... ومعلوم لمن يفهم دين الله تعالى أن تصحيح مسار بلدنا ليس بتلك البطاقات، بل بتصحيح معتقد الناس، وإفرادهم لله بالعبادة، وبرجائهم لليوم الآخر، وذلك بدعوتهم بدعوة الرسل، والصبر على ذلك، حتى يطيعوا شرع الله، ويقوموا به فينصلح حالهم.. "إن أصواتكم تمثل الصوت الحر الشريف الذي لا يسقط تحت ذل المادة، ولا ينخدع بالتضليل" نقول: لو كان هذا حقاً ما كان هذا حال البلد، بل هذا مخالف للصدق، وما كان للرسل ولا لأتباعهم أن يكذبوا في دعوتهم للناس، فنحذر من استخدام مثل ذلك في مخاطبة الناس وتزكية حالهم، وواقعهم خلاف ذلك.. "إحرص على مباشرة كافة حقوقك السياسية"، ومعلوم أن ما ذكر بعد ذلك ليس بحق، بل هو ضلال وباطل، فنكون قد بينا لهم مشروعية هذا الشرك، وكان واجبنا تحذيرهم منه، فنكون قد ضللناهم وعكسنا دعوتنا، نعوذ بالله تعالى من الخذلان.

فإن قلت: سأبين بعد ذلك، قلت: عجباً، إذا كان في أمور الواجبات والمحرمات مما ليس بشرك اتفق الأصوليين على أنه لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة [إرشاد الفحول]، فكيف والأمر شرك وذنب لا يغفره الله أبداً، ومعتقد الناس على ما تعلم وترى.

يقول الشنقيطي: "لأنه لا يجوز في حقه تأخير البيان عن وقت الحاجة إليه، ولا سيما في العقائد، ولا سيما فيما ظاهره الكفر" هـ— (أضواء البيان).

(7) - نقول: إن استعمال هذه البطاقات يكون في مثل هذه الأمور:

أ- إسقاط مرشحي النصارى، واختيار مرشحين ممن يجهلون أمر الإسلام، ممن يرشحون أنفسهم عادة، فنكون قد أعناهم على دخول المجالس الشريكة، ليشروعوا من دون الله عز وجل، أو يشايعوا حكم الطاغوت، فنسوقهم إلى عذاب الله، وقد كان واجبنا ونحن دعاة وأتباع الرسل أن نحذرهم من هذا الشرك، وتلك المجالس، ونسوقهم لتجنبها، والعمل معنا لهدمها.

ب- أو تستخدم مع ترشيح مسلمين فاهمين لينادوا بتطبيق شرع الله عز وجل داخل المجلس، وهذا يتضمن قضيتين:

أولاهما: أننا سنطالب الناس بتأييدهم، وإعطائهم أصواتهم، وذلك يتضمن في مفهوم الناس مشروعية هذا الأمر، وقد بينا سابقاً أن هذا تضليل وسوق بالناس إلى الجحيم، وأن تأخير البيان لا يجوز عن وقت الحاجة، فإن قلت لي: إن بينت لهم واعتقدوا ذلك؟ قلت: فهذا هو الطريق الصحيح، فإذا اعتقدوا ذلك، وصح معتقدهم فلا حاجة لدخول تلك المجالس الشريكية، بل على الشعب الذي آمن بالحق أن يجاهد لإزالة الكفر، وإعلاء كلمة الله تعالى، فإن قلت: إن بينت لهم الحق رفضوه، قلت لك: فرفضهم لرجالنا -وهم طبعاً يبينون للناس الحق- أولى، فإن سعت إلى استغلال عصبية الناس بالرغم من فساد معتقدهم، فهذا هو الضلال بعينه، (يقول محمد أحمد الراشد - وهو من الإخوان بالكويت- في كتابه "المنطلق": "رجل الشارع والغوغاء، والدهماء، والمصفقون هم مادة الأحزاب الجاهلية الأرضية، وعنصر حياتها، لأن بمثل هؤلاء تنتصر هذه الأحزاب، تستطيع أن تبدل وتخور برامحها وفق ظلمات هؤلاء، وتبعاً لسوق الاستهلاك، أما الدعوة الإسلامية فما بمثل هؤلاء تنتصر، وما بمثل هؤلاء تغير مجرى الحياة، إن التجميع القطيعي ممكن، لكنه لا يستمر طويلاً" ١.هـ، وفي الكتاب كثير من هذا الكلام الطيب فارجع إليه).

الثانية: أنا سقنا مسلماً موحداً فاهماً إلى مجلس أسس على الكفر والشرك، وعرضناه للفتنة والغواية بما هيئناه له من عواملها، (وليست الفتنة التي هي سنة كونية، فتلك واجب صبر عليها، والأولى واجب تجنبها والحذر منها، وذلك مثل: "لا تتمنوا لقاء العدو" الحديث، وما شابه ذلك" فإن الطاغوت لا يرضى أبداً بخلاف ملة ونحلة الباطل، لا يجادل في ذلك الأمن لا يعلم دعوة الرسل، وطريق أتباعهم، ومناهج أعدائهم، يقول تعالى: (إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا)، (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا)، (لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ) فيسخرص الطاغوت أصواتهم، ويصدر تشريعاته بالأغلبية المزعومة، أو تفسد نفوس بعضهم ويستجيبوا للفتنة، والعياذ بالله، وكلا الأمرين هلاك وضلال سقناه إليه، أما الأخير فظاهر، ولقد رأينا بعضهم عندنا في الإسكندرية ممن اختاره الدعاة لدخول هذا المجلس "عادل عيد" يقول تعقياً على تصرف بعض الإخوة لم يعجبه: "علينا إتباع القانون، وليس لأحد أن يخرج على القانون"، "ونحن جميعاً خاضعين للقانون"، ويكررها في أكثر من مناسبة، أعاذنا الله من الضلال.

والأول: فإن من دخل هذا المجلس فلنا ظاهره، وهو دخول هذا المجلس الشرطي الذي ذكرنا صفته في أول الرسالة، فظاهره لنا المشايعة، ونيته عند الله.

في صحيح مسلم بشرح النووي عند حديث غزاة الكعبة الذين يهلكهم الله جميعاً: "فيهم المستبصر والمجبور وابن السبيل يهلكون مهلكاً واحداً، ويصدرون مصادر شتى، ويبعثهم الله على نياتهم" يقول النووي: "وفيه من الفقه التباعد من أهل الظلم، والتحذير من مجالستهم ومجالسة البغاة، ونحوهم من المبطلين لئلا ينالهم ما يعاقبون به" وفيه

"أن من كثر سواد قوم جرى عليهم حكمهم في ظاهر عقوبات الدنيا" ١هـ - ولابن تيمية كلام طيب على هذا الحديث في الفتاوى الكبرى في باب الجهاد فتوى 516 الجزء 4-.

(8) - ونريد الأمر بياناً، وبالله تعالى التوفيق:

يقول تعالى في شأن الذين اتخذوا مسجد الضرار، ليكون تفريقاً بين المسلمين، ومركزاً للنفاق ومحاربة الله ورسوله، ويروى في التفسير أنهم طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يصلى لهم فيه، ليحصل لهم بذلك الاقرار والمشروعية، فحذر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم من ذلك، وأمره بحرق هذا المسجد، يقول تعالى: (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفْنَ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ، لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ...) سورة التوبة.

* فهذا مسجد تقام فيه الصلاة كان يمكن أن يُبعد الرسول صلى الله عليه وسلم عنه رؤوس النفاق ويأمر مسلمين صالحين بعمارته، ولكن كما روى في التفسير أن الله تعالى أمره بحرقه، لأن أساسه النفاق ومحادة الله ورسوله، يقول ابن القيم في زاد المعاد عقب ذكر تلك القصة، في ذكر ما يستفاد من ذلك: "ومنها تحريق أمكنة المعصية التي يعصى فيها الله ورسوله، وهدمها، كما حرق رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجد الضرار، وهو مسجد يصلى فيه، ويذكر اسم الله فيه، لما كان بناؤه ضراراً وتفريقاً بين المؤمنين، ومأوى للمنافقين، وكل ما كان هذا شأنه فواجب على الإمام تعطيله، إما بهدمه وتحريقه، وإما بتغيير صورته وإخراجه عما وضع له، وإذا كان هذا شأن مسجد الضرار فمشاهد الشرك التي تدعو سدانتهما إلى اتخاذ من فيها أرباباً من دون الله أحق بذلك وأوجب" ١هـ - فذلك المجلس التشريعي من أعظم مشاهد الشرك، ومن فيه جعلوا أنفسهم أو جعلوا أرباباً يحلون ويحرمون من دون الله، سواء بأمرهم أو بقهر الطاغوت وتسويله، وهم له مشايعون، فالطريق هو هدم هذا المشهد الشرقي بإذن الله، والسعي بذلك إذا مكن الله المسلمين [ويتأكد هذا الحكم بالأدلة الصحيحة في وجوب إزالة المنكر، وبهدمه صلى الله عليه وسلم للأوثان والطواغيت كما مكنه الله تعالى]، ومعلوم أن تغييره وإخراجه عما وضع له - وهو التشريع من دون الله تعالى - لا يتم بدخوله، فإن من فيه خاضعون للدستور كما ذكرنا أول الباب، وإلا فالذي يستطيع تغيير هذا كله، وإجبار الطاغوت على الاستسلام لهذا التغيير، يكون له من القوة ما يمكن له فعل ذلك وهو خارج المجلس أيضاً، هذا مما لا يمارى فيه إلا من لا يتورع عن الجدل بالباطل والكذب.

(9) - فالقول ما ذكرنا وهو الدعوة إلى الله عز وجل دعوة صحيحة إلى التوحيد، والصبر على الأذى فيها، والجهاد في سبيل الله حتى تلعو كلمة الحق، وتنهض تلك المشاهد الشركية، ولا ندخلها أبداً.

(10) - وفي تفسير القرطبي ما روى من "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت الآيات في شأن مسجد الضرار كان لا يمر بالطريق الذي فيه المسجد، وأمر بموضعه أن يتخذ كناسة تلقى فيها الجيف والإقذار والقمامات" وفيه "أن بناء الكافر كبناء على جرف جهنم ينهار بأهله فيها" وعند القاسمي: (لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا): القيام: الصلاة، في أي وقت من الأوقات لكونه موضع غضب الله، ولذلك أمر بهدمه وإحراقه... وعند

القرطبي: "قال العلماء: من كان إماماً لظالم لا يُصلى وراءه إلا أن يُظهر عذره أو يتوب، فإن بني عمرو بن عوف الذين بنوا مسجد قباء سألوا عمر بن الخطاب في خلافته ليأذن لجمع بن جارية أن يصلى بهم في مسجدهم، فقال: لا، ولا نعمة عين، أليس بإمام مسجد الضرار؟ فقال مجمع: يا أمير المؤمنين، لا تعجل عليّ فوالله لقد صليت فيه، وأنا لا أعلم ما قد أضمرُوا عليه، ولو علمت ما صليت بهم فيه، كنت غلاماً قارئاً للقرآن، وكانوا شيوخاً قد عاشوا على جاهليتهم، وكانوا لا يقرأون من القرآن شيئاً، فصليت ولا أحسب ما صنعت إثماً، ولا أعلم بما في نفوسهم، فعذره عمر رضي الله عنه، وصدقه، وأمره بالصلاة في مسجد قباء". اهـ، لذا قلنا: إن من دخل هذا المجلس لنا ظاهره الذي يحمل إقرار أن يكون هناك مجلساً تشريعياً، وقد أعلمناه بالأمر إن قال: نيتي كذا، فليس له إلا أن يعلن توبته، ويتبرأ من هذا المجلس.

(11) - فإن قلت: إن في دخولي هذا المجلس من المصالح ما لا يتحقق خارجه، مثل المطالبة بشرع الله تعالى: قلنا: هذا يتضمن قضيتين: قضية المصالح، وقضية المطالبة بالشرع من خلال هذا المجلس.

أما القضية الأولى: فليس كل ما فيه مصلحة يكون مشروعاً، فإن الله أثبت أن الخمر والميسر منافع مع تحريمها (قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَّفْعِهِمَا)، فما من أمر إلا فيه منفعة من جانب، ومضرة من جانب، ولذا تنازع العلماء في اعتبار المصالح المرسلّة من الأدلة، واعتبره بعضهم من القول على الله تعالى، حيث يجعلون الشيء حلالاً في وقت، وحراماً في وقت، وما من قاعدة إلا ويستدل بها الطرفان كل حسب تفسيره ونظريته، ولذا أورد عليها العلماء إيرادات وإشكالات، ولكن نذكر ما جعله المعتدلون ممن تكلموا في المصالح ضابطاً لذلك، فبعد ما ذكر الشاطبي في الموافقات ج2: "أن الشيء ليس فيه منفعة محضة، أو مفسدة محضة"، "وأن اتباع المصالح ليس بالأهواء"، بين الشاطبي أصل الترجيح في هذه المسألة تعقياً على من قال: "إن الأصل في المصالح الإباحة، والأصل في المضار المنع" [لأنه يجعل الشيء مأذوناً فيه منهياً عنه في نفس الوقت لاجتماع الأمرين فيه]، فيقرر الشاطبي "أن الأمر في ذلك راجع إلى اعتبار ما تقوم به الدنيا للآخرة، وإن كان في الطريق ضرر ما متوقع، أو نفع ما مندفع"، يعلق الشيخ درّاز فيقول: "إذ لا يعقل أن يعنى أن كل ما فيه اسم مصلحة مأذون فيه، كالخمر مثلاً، وما فيه مفسدة ما ممنوع كمرارة الدواء، بل ما يعتبر مثله مصلحة أو مفسدة في نظر الشرع"، نقول: وهذا الكلام لا ينضبط إلا بأمور أخرى تشترط فيمن يصلح للنظر في المصالح عند من يعتبرها، مثل معرفة مقاصد الشريعة، ومراعاة شروط المصلحة، والاجتهاد، والتجرد عن الهوى، ونقول: أبلغ قول في ذلك قول من قال إنها للخليفة المجتهد، لأنه لا بد وأن ينظر في الأمور المتجددة من المعاملات غيره.

* وقد ذكر الشاطبي في الموافقات ج2 الجهات التي يعرف بها مقاصد الشرع [لتعين الناظر في المصالح، ويجهد نفسه في تنقيحها]:

1- صريح الأمر والنهي.

2- اعتبار العلل بمسالكها المعروفة، فإن لم تعلم فالتوقف.

3- النظر في المصالح التابعة، فما كان مؤكداً للمصالح الأصلية فهو مقصود وما لا فلا".

[ولقد بين من قبل في أول ج 2 "أن كل تكملة فلها -من حيث هي تكملة- شرط هو أن لا يعود اعتبارها على الأصل بإبطال" وذلك دلل عليه بأمور: "1- في إبطال الأصل بإبطال التكملة.

2- لو قدرنا حصول المصلحة التكميلية مع فوات المصلحة الأصلية، لكان حصول الأصلية أولى لما بينهما من التفاوت".

* نقول: فلو كان في دخول هذا المجلس مصلحة تكميلية لحفظ الدين (وهو من الضرورات الخمس) من كيد النصارى، فإن في اعتبار هذا ما يعود على الأصل بإبطال كما بينا في أول الرسالة، إذ هو يتعلق بأصل الدين، وهو التوحيد، وهذا المجلس الشرعي مضاد له من كل جانب، كذا ما فيه من تضليل العامة بإقرارهم هذا المجلس].

ويكمل الشاطبي الجهة الرابعة في مقاصد الشريعة:

"4- سكوت الشرع عن الإذن مع قيام الداعي للإذن، أي وجود ما يدعو للإذن في مثل تلك الأمور من حالة دنيوية أو مصلحة أخروية، وذلك وقت التشريع، وهو نزول الوحي، ومع ذلك لم ينزل الوحي بذلك، فيعلم أنه غير مطلوب"، يقول الشاطبي: "ومن هنا حكم البدع".

* أما الشروط التي تراعى في المصلحة ليحتج بها فيذكر د. بدران أبو العينين في كتاب "أصول الفقه الإسلامي" الشروط التي اعتبرها الأئمة:

1- أن تكون المصلحة التي يشرع الحكم من أجلها كلية، على معنى أنها تشمل أكبر عدد من الناس وتجلب لهم النفع، وتدفع عنهم الضرر، [فإن قلت: ذلك موجود في هذه المسألة، قيل لك: بل أكبر عدد من الناس وقع عليهم الضرر، وهو التضليل عن الحق، وهو أن أصل هذا المجلس وكذا نظام الحكم كله على الشرك، ومشايعتهم لذلك من الشرك، فعليهم أن ينكروا أو يكرهوا].

2- أن تكون المصلحة التي يبنى عليها تشريع الحكم مما يتحقق معها جلب النفع، أو دفع الضرر، فإن كانت المصلحة متوهمة النفع، أو متوهمة دفع الضرر، فلا يصح أن يبنى عليها تشريع حكم، [وذلك الشرط مفقود هنا، بل عكسه الواقع، فضرره متحقق وهو ما ذكرناه، بل أكثر من ذلك، وهو تمكين أهل الباطل فيهم، وادعاء الطاغوت أنهم يصارعونه على السلطة ليفسدوا البلاد، وليس ذلك بالابتلاء الذي هو سنة كونية، والذي هو واجب الصبر، كما سنبينه بعد بإذن الله، بل هذه هي الفتنة التي قلنا: أن علينا ألا نعرض أنفسنا لها، لأنها جاءت من طريق لم يأذن فيه الشرع، أما المصلحة المظنونة فهي بعيدة المنال، كما سترى في الباب القادم بإذن الله].

3- الشرط الثالث: ألا يعارض التشريع الذي روعيت فيه المصلحة حكماً، أو مبدأً مبني على نص، وإجماع، فإن عارضه فلا يصح [وقلنا: وهذا المبدأ موجود، وهو أن هذا المجلس شرك بالإجماع كما بينا في أول الرسالة، وكما قال ابن حزم وابن تيمية الإجماع في هذه المسألة، وهي التشريع من دون الله عز وجل].

ويقول د. بدران: "واشترط الغزالي أن تكون المصلحة ضرورية"، وذكر تفسير ذلك الشرط قبل ذلك: "ومعنى كونها ضرورية: ألا تكون حاجية ولا تحسينية، بل من الضرورات الخمس"، ويبين الشاطبي في الموافقات ج 2

"الضرورات الخمس: الدين، والنفس، والنسل، والمال، والعقل"، وبين الشاطبي: "أما الضرورية فمعناها أنها لا بد منها في قيام مصالح الدين والدنيا، بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة، بل على فساد وقمارج وفوت حياة، [مثل: (وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا لَهْدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيعَ وَصَلَوَاتُ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا)] فالقتال من المصالح الضرورية لأزالة الفساد وإعلاء كلمة الله تعالى، وإخزاء الكافرين]، يقول الشاطبي: "وفي الآخرة فوت النجاة والنعيم، والرجوع بالخسران المبين"، وهذا ما ذكره في المصالح التي جاء بها التشريع.

(12)- هذا بالنسبة للمصالح، أما بالنسبة للمطالبة بشرع الله تعالى من خلال قانون هذا المجلس، فلا يخرج الأمر عن كونه شركاً وكفراً أيضاً، وذلك يتبين شرعاً وحالاً:

أ- أما شرعاً، فإن المقصود بالعبادة هو الامتثال والطاعة على أنها من عند الله تعالى، لا على أنها قانون صدر من هيئة ما، وذلك يضاد الاستفتاء عليه، وأخذ الأصوات (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ) ويقول تعالى: (وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ) النسفي: أي المستسلمين لأوامره ونواهيه، (يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا) النسفي: انقادوا لحكم الله، (الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ) ابن كثير: أي آمنت قلوبهم وبواطنهم، وانقادت لشرع الله جوارحهم، ومثل ذلك كثير في كتاب الله تعالى، وإلا فإن دولة كـ (فرنسا) لو أخذت الحدود كقانون لها، لم يصيروا بذلك مسلمين، بل الأصل امتثال شرع الله تعالى جملة على أنه واجب القبول والانقياد بلا مناقشة، ولا مراجعة ولا اختيار، وخلاف هذا كفر.

ب- وأما حالاً فنذكر لك قانونهم لتعلم:

في كتاب "المدخل لدراسة القانون" د. أحمد سلامة: "بيد أن الغالبية العظمى من الدول قد أصبحت دولاً علمانية، بمعنى أنها تترك القواعد الدينية لحساب الاله في الدار الآخرة، ولا شأن لها إلا بقواعدها القانونية التي تضعها لتنظيم المجتمع، وقد يستمد جزء من هذه القواعد، قل أم كثر بنصه من الدين مباشرة، ولكنه يلزم باعتباره قواعد قانونية، وليس باعتباره قواعد دينية"، أما د. سيد صبري فيقول في كتاب: "مدخل دستوري": "والمصادر الرسمية لقانوننا المصري هي: التشريع (أي الدستوري)، العرف، مبادئ الشريعة الإسلامية، مبادئ القانون الطبيعي وقواعد العدالة، وليست هذه المصادر على درجة واحدة من الأهمية، فالتشريع هو المصدر الأساسي السابق في أهميته، في حين أن المصادر الأخرى لا تعدو أن تكون مصادر ثانوية احتياطية لا نلجأ إليها إلا إذا سكت التشريع عن حكم النزاع، ولا يوجد ما يمنع من أن تتطور القاعدة القانونية بالنسبة إلى مصدرها الرسمي، فقد توجد هناك قاعدة قانونية مصدرها العرف، ثم تصير بعد ذلك قاعدة قانونية مصدرها التشريع، وهنالك يستحيل العرف إلى مصدر مادي للقاعدة القانونية بعد أن كان مصدراً رسمياً لها... إلى أن يقول: فالقاعدة العرفية التي تصبح تشريعاً هي في الحالتين ملزمة، ولكن انتقالها إلى رحاب التشريع يجعلها ملزمة في الدرجة الأولى، في حين أنها كانت وهي عرفية ملزمة في الدرجة الثانية، [واعلم أن الشريعة الإسلامية عندهم أدنى

من العرف -قبحهم الله- فمن طالب بها من خلال هذا المجلس إنما يطالب بتطويرها من الدرجة الثالثة إلى الدرجة الأولى، وعلى أنها تشريع اعتبره المجلس والهيئة المؤسسة، نعوذ بالله تعالى من الخذلان].

(13)- فإن قلت: سأطلب بتغيير التشريع الدستوري نفسه، قلت: ما يزعمون أنه متاح للمجلس تغييره هو مادة، أو عدة مواد، وليس الدستور كله، نعم! هم يغيرونه لمصلحتهم -أي الطواغيت- بلا شرط، ولكن في هذه المسألة، فالشروط التي سنذكرها، بل عدم الاعتبار والتأجيل، والتسويق كما تسمع وترى... في كتاب "أساسيات القانون المصري العام" د. محمد طه بدري، د. مصطفى أبو زيد فهمي: "فيما يتعلق بتعديل مادة أو أكثر، ذلك بأن مادة 189، تنص بما يأتي: لكل من رئيس الجمهورية ومجلس الأمة طلب تعديل مادة أو أكثر من مواد الدستور، ويجب أن يذكر في طلب التعديل المواد المطلوب تعديلها، والأسباب الداعية إلى هذا التعديل، فإن كان الطلب صادر من مجلس الأمة وجب أن يكون موقعاً من ثلث أعضاء المجلس على الأقل، وفي جميع الأحوال يناقش المجلس مبدأ التعديل، ويصدر قراره في شأنه بأغلبية أعضائه، فإذا رفض الطلب لا يجوز إعادة طلب تعديل المواد ذاتها قبل مضي سنة على هذا الرفض، وإذا وافق مجلس الأمة على مبدأ التعديل يناقش بعد (6) أشهر من تاريخ هذه الموافقة، والمواد المراد تعديلها، فإذا وافق على التعديل ثلثي أعضاء المجلس عرض على الشعب للاستفتاء في شأنه، فإذا وافق على التعديل (بالاستفتاء) اعتبر نافذاً من تاريخ إعلان الاستفتاء".

* نقول: ولا يعول على مثل هذا إلا من لا يفهم دعوة الرسل، كما قلنا، بل مزج بينها وبين الدعوات الحزبية الأراضية... وعلى كل حال فالشرع إنما هو من الله لا من المجلس ولا من الشعب، ويؤخذ بالتسليم والطاعة، لا بالاستفتاء والنظر، ولب الإيمان شيء، والظاهر الكاذب شيء آخر، والطريق الذي رسمه الله تعالى له جانبان: الدعوة والجهاد.

(14)- وما يذكر بعد ذلك من أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يذهب إلى المشركين ليدعوهم، وأنه -أي الداعية- لا يستطيع أن يعلمهم الحق إلا بأن يتبع قانونهم أولاً في الانتخابات والترشيح، ودخول المجلس، ثم يطالب من خلاله بالحق، نقول: هذا كلام عجيب حقاً، من منعك شرعاً أن تدعو بالحق في كل مكان، وتصلح عقائد الناس في البيوت والتجمعات، وتصبر على الأذى كما صبر أهل الحق، أما أن تسلك الطريق الذي ذكرت من اتباع قانونهم في الترشيح ودخول هذا المجلس ابتداء حتى ييسروا لك ذلك، فاحذر يا أخي أن يكون هذا هو طاعتهم في بعض الأمر، أو الطريق التي تجر إلى ذلك.

يقول الشنقيطي في "أضواء البيان" في معنى قوله تعالى (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَاطِئُكُمْ فِي بَعْضِ الْأُمْرِ): "والتحقيق الذي لا شك فيه أن هذه الآيات عامة في كل ما يتناوله لفظها، وأن كل ما فيها من الوعيد عام لمن أطاع من كره ما نزل الله" ويقول: "اعلم أن كل مسلم يجب عليه في هذا الزمان تأمل هذه الآيات من سورة محمد وتدبرها، واحذر التام مما تضمنته من الوعيد الشديد" ويقول: "فاحذر كل الحذر من الذين قالوا: سنطيعكم في بعض الأمر" وكلاماً آخر طيباً ذكره الشنقيطي، ارجع إليه في التفسير كقوله: "وأحرى

من ذلك من يقول لهم: سنطيعكم في كل الأمر، كالذين يتبعون القوانين الوضعية، مطيعين بذلك الذين كرهوا ما نزل الله، فإن هؤلاء لا شك أنهم ممن تتوافهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم".
* وأقول لك: لست مضطراً إلى ذلك ولا مكرهاً، خاصة في مسألة الشرك، ولولا خوف التطويل لبسطنا ذلك، والله المستعان أن نوضحه بعد بإذن الله.

(15) - فإن قلت: بل كانت نيتي الإصلاح، وإن أردت إلا الحسنى، قلتُ لك: إذا علمت مما سبق أن هذا المجلس شرك، وأن الشرع أرشد إلى اجتنابه، بل وأمر المسلمين بنسف هذا الشرك، وأن دخوله مخالف للشرع، والقول بالمصلحة فيه باطل، فاعلم أن النية لا تحول العمل المخالف للشرع إلى عمل مشروع، فما بالك بالشرك، يبين الشاطبي في الموافقات ج2 مقاصد المكلف، القسم الرابع من المسألة الرابعة في كون الفعل والقصد موافقين للشرع أو مخالفين: "أن يكون الفعل مخالفاً (مخالفة شرعية) والقصد موافقاً (النية الإصلاح والتقرب) يقول: فإذا كان مع العالم بالمخالفة "وهذا هو الابتداع" كإنشاء العبادات المستأنفة، والزيادات على ما شرع، ولكن الغالب ألا يتجرأ عليه إلا بنوع تأويل، ومع ذلك فهو مذموم حسبما جاء في القرآن والسنة"، ثم يكمل مبيناً الفارق بين المصلحة المرسله التي عمل بها السلف من الصحابة كجمع المصحف، وكذا مما ليس مخالفاً لقصد الشريعة أصلاً - وبين البدع المذمومة، [ومعلوم أن البدع والمخالفات تقع في العبادات والمعاملات والدعوات وكل أمور الدين، ومنها ما هو شرك مخرج من الملة، وقد بينا حال المجلس والنظر إليه من جهة الشرع، والتفصيل لمسألة البدع إرجع إلى كتاب الاعتصام للشاطبي ففيه فوائد كثيرة].

ثم يذكر الشاطبي العمل المخالف مع الجهل بالمخالفة مع نية الموافقة، يذكر تعارض العلماء بين اعتباره وعدم اعتباره، ويذكر الرأي الوسط الذي يرجحه، وهو اعتباره من جهة النية برفع المؤاخذه، وعدم اعتباره من جهة المخالفة بعدم تصحيح العمل، لذا نقول: على المسلم أن يدرس كل عمل يقوم به، دراسة شرعية مستفيضة متأنية بغرض إصابة الحق والعمل به، ولا تكون أعماله كردود الفعل السريعة، أو مشايمة لأعمال أهل الباطل، تابعة لهم حذو القذة بالقذة، وكثيراً ما نسمع: إن النصارى يفعلون كذا، مدارس في الكنائس فلنفعل مثلهم - كذا بلا دراسة أو ضبط، وهكذا نقلد دعوات أهل الباطل، وكأن قوله صلى الله عليه وسلم: "لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة - اليهود والنصارى" الحديث، واقعاً في حالنا في المتجدد من الأفعال، كما فسره العلماء فيما سبق لهم فعله، نعوذ بالله تعالى من الخذلان.

(16) - فإذا سألتني: ما العمل إذن في هذا الموقف؟ قلت لك: على الخير سقطت، فإن الأمور إن اتبع فيها الشرع من أصلها وجدت لمشاكلها حلاً شرعياً، وإن خالفت في مبادئ خولفت معك النتائج، وتلمست لها حلولاً باطلة، والأصل أن الطريق دعوة وجهاد، إعلان دعوة التوحيد، وإظهار الحق، ومحاربة الشرك، والسعي لتطهير معتقد الناس، وتصحيح أعمالهم بلا مدهانة ولا ترخص، بل تجرد للحق وثبات عليه، وتحمل للابتلاء، حتى إذا ما استفاض البلاغ، وقامت الحجة، وثبت المؤمنون والمعاندون وانكشف المنافقون، هنالك ينصر الله جنده

المجاهدين، ويقذف في قلوب عدوهم الرعب، فريقاً نقتله، ونأسر فريقاً، والله على كل شيء قدير، تلك هي دعوة الرسل لا الانشغال بالأمر الجانية، من الهتافات والمهرجانات والندوات.

* فإن قلت لي: إن الطريق التي ذكرت تسبب لنا أذى وفتنة، وقد حذرتني من التعرض للفتنة من قبل، قلت لك: ليست تلك كهذه، بل الفتنة الأولى جاءت بمخالفة الشرع فهي من عندك، والأخرى ابتلاء من عند الله وسنة متبعة مع أهل الحق، (وتفصيل الفرق بين الفتنتين يحتاج إلى تطويل وأدلة فيها فوائد جميلة، ندعو الله أن يعيننا على نشرها بعد)، فإن كنت منهم فواجب عليك الصبر على تلك المشقة، فهي تكليف عادي في حق المؤمنين.

* ذكر الشاطبي في الموافقات أن المشقة الشرعية لا يجوز دفعها لأنها دفع للتكليف واستدل بقوله تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ) ذلك بعد قوله تعالى: (أَحْسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ) وبين الشاطبي أن المشقة قد تبلغ من الأعمال العادية ما يظن أنه غير معتاد، ولكنه في الحقيقة معتاد، وبين أن العمل الواحد لها طرفان وواسطة، فحيث يقول تعالى: (انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا) ثم قال: (إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبَكُمُ عَذَابًا أَلِيمًا) كان هذا موضع شدة لأنه يقتضي ألا رخصة في التخلف أصلاً، ولكنه محمول على أقصى الثقل الذي يمكن إتيانه، وبين أنه اجتمع في غزوة تبوك: الحر وبعد الشقة زائداً على مفارقة الظلال وطيب الثمار، وذلك زائد على المشقة في الغزو لا يخرج الأمر على المعتاد (نقول: وقد آخذ الرسول صلى الله عليه وسلم المخلفين في تلك الغزوة، وكانت سبباً لفضح المنافقين، وارجع لتفسير سورة براءة) ولذلك لم يقع فيه رخصة، وقد قال تعالى (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَتَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ) انتهى من الموافقات بتصرف.

* نقول: فلنعرض الدعوات نفسها على سيرة الرسل في كتاب الله عز وجل لترى موضعها منها ثم تصحح مسيرتها، والله المستعان، وهو الهادي إلى سواء السبيل.

(17)- وإن قلت لي: وما العلاج العاجل في أمر النصارى وما سيكيدونه من خلال هذا المجلس؟ وقوتي لا تماثل قوة الباطل؟ قلت لك: يا أخي أما من جهة القوة فهذه سنة مطردة في اتباع الرسل، تفاوت ما بينهم وبين خصومهم من الجهة المادية، وارجع لكتاب النبوة والأنبياء في ضوء القرآن -لأبي الحسن الندوي في بيان هذه المسألة، وقبل ارجع إلى كتاب الله عز وجل (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ)، (وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا)، ولكن عليك أن تأخذ بالأسباب المشروعة، وتلمس علاجاً شرعياً لا علاجاً فاسداً، فإن أنت أخذت بالدعوة الحق التي ذكرت لك، وحذرت الناس الشرك، وأمرتهم بمعاودة أهلهم والتبرؤ منهم، وأن يعتقدوا بطلان كل شرعة ودين غير الإسلام الذي هو دين الرسل جميعاً، وأن من خالف الإسلام هو عدو الله ورسوله والمؤمنين.

* فإن سرت في طريق البيان والصبر فكل من اتخذ هذا المجلس أو غيره كوسائل الإعلام مقراً للكفر، وإرساداً لمن حارب الله ورسوله، ومشهداً للكفر، وتأليه البشر، وسب شريعة الإسلام، والاستهانة بآيات الله، والكيده للمؤمنين، سواء كان فاعل ذلك من النصارى أو غيرهم من الكفار، فعلاجه في الشرع كما يقول ابن تيمية في

كتاب "الصارم المسلول" [وهو كتاب طيب يبين أحكام من سب الرسول صلى الله عليه وسلم، أو سب دين الإسلام، أو سب الله تعالى، وكذا محاد الله ورسوله والمؤمنين، وفيه كلام كثير طيب فارجع إليه] يقول: "إنه يجب علينا أن نبذل دماءنا وأموالنا حتى تكون كلمة الله هي العليا، ولا يجهر من ديارنا بشيء من أذى الله ورسوله" وفي ص 14 "في قوله تعالى (وَإِنْ تَكْثُرُوا أَئِمَّانَهُمْ مِّنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعْنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ) يبين أن الطعن في الدين من أقوى الأسباب الموجبة للقتال، وأنه يغلظ على الطاعن في الدين من العقوبة ما لا يغلظ على غيره، وأن الطعن في الدين هو الذي يجب أن يكون داعياً إلى قتالهم لتكون كلمة الله هي العليا - وص 17- إن الله سماهم أئمة الكفر لظعنهم في الدين، وكل طاعن في الدين هو من أئمة الكفر الواجب قتاله - وص 18-19- في قوله تعالى (فَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِيهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ، وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ) أمر الله سبحانه وتعالى بقتل الناكثين الطاعنين في الدين، وضمن لنا إن فعلنا ذلك أن يعذبهم بأيدينا ويخزيهم وينصرنا عليهم، ويشفي صدور المؤمنين، الذين تأذوا من نقضهم وطمعهم، وأن يذهب غيظ قلوبهم، لأنه رتب ذلك على قتالنا (لهم) ترتيب الجزاء على الشرط (لا على نزولنا مجلس التشريع) - ص 19-20- (وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ) إن شفاء صدور المؤمنين من ألم النكث، والطعن في الدين مقصود شرعاً، وأن ذلك يحصل إذا جاهدوا... ويقول: إن الله جعل قتالهم هو السبب في حصول الشفاء، والأصل عدم سبب غيره [فتأمل قول -والأصل عدم سبب غيره] فيجب أن يكون القتال والقتل هو الشافي لصدور المؤمنين من مثل هذا -وص 23- قوله تعالى: (كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي) بعد قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ) دليل على أن المحادة مغالبة ومعادة، حتى يكون أحد المتحادين غالباً، والآخر مغلوباً، وإنما يكون بين أهل الحرب لا أهل السلم [يريدون أن يحولوا ذلك إلى حرب انتحائية، أو هتافات "أو ترق فيه الدماء) بلا عمل حقيقي، سبحانه الله] والغلبة للرسول بالحجة والقهر، (الدعوة والقتال كما قلنا) فمن أمر منهم بالحرب نُصر على عدوه، ومن لم يؤمر بالحرب ملك عدوه، [ومعلوم أنا أمة مأمورة بالحرب، بل "جعل رزقي تحت ظل رمحي"] فعلم أن هؤلاء المحادين محاربون مغلوبون". 1. هـ

* ولولا خشية الإطالة لذكرنا كثيراً من هذا الكلام الطيب، ندعو الله تعالى أن يكون واقعاً في حياة المسلمين. (18)- وبعد ذلك يا أخي أدعو الله تعالى أن يكون قد وضع لك الحق، فلا تلتفت لقول من يقول: إن هذه الخيالات والأحلام ليست فيها حكمة التجربة، وخبرة الواقع، كأنه رادّ لدعوة الرسل، مادحاً لدعوته الأرضية الحزبية.

أو قول من يقول: هذا كلام عقلي ليس فيه دليل على المطلوب، كأنه يريد نصاً، آية أو حديثاً "حرم عليكم مجلس الشعب" أو "من دخل مجلس الشعب فقد كفر، وبرئت منه الذمة"، ولا عجب فمثل ذلك قيل في أشياء كثيرة، وقال قوم: إن القرآن لم يحرم الخمر لعدم ورود لفظ التحريم، زعموا! نعوذ بالله تعالى من الخذلان.

(19)- فإذا وضع لك الحق فليكن هو جماعتك، به تلتزم، وعند تدافع، وله تدعن، فإن صبرت وآمنت فكن موقناً بنصر الله عز وجل (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ

الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلِيُمَكِّنَ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلِيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) والذين من قبلنا لم يستحلّفهم بمجالس وهتافات، بل كما قال ابن تيمية: "فمن أمر بالحرب، نصره الله على عدوه، ومن لم يكن مأموراً بالحرب مكّنه الله من عدوه (وَأَوْزَنَّا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعِفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا)، (قَالُوا أَوْذَيْنَا مِنْ قَبْلُ أَنْ تَأْتِينَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ) قال ابن عباس: كل عسى في القرآن فهي موجبة.

واعلم يا أخي أن هذا الدين لم يأتنا بكسل أو إهمال، أو مهرجانات ومظاهرات، بل جاء بفضل الله تعالى، ثم بإيمان وثبات، بدم آل ياسر، دم مصعب بن عمير، دم حمزة، دم الخليفة العادل عمر بن الخطاب، بجهاد صلاح الدين، وصبر العلماء والأئمة وجهادهم، سفيان الثوري، أحمد بن حنبل، محمد بن عبد الوهاب، ألحقنا الله بأولئك الجند في جنات النعيم، وهدى المسلمين إلى الحق، وألهمهم الصراط المستقيم، وألزمهم كلمة التقوى، وجعلهم أحق بها وأهلها آمين.

(20)- ونرجو الله تعالى أن تقع هذه النصيحة، وهذا البيان موقعه من قبول الحق، والرضى بالنصح، وألا ينظر إليه على أنه مخالفة، أو نقد، فما هذا شأن المسلمين، وكل ما فيه من أمثلة وبيان ليس مقصوداً لذاته، ولكن لإيضاح الأمر، وإمعاناً في الحجة، والله وحده يعلم ما في القلوب، هو وحده مقلّبها، بيده وحده الأمر والتصريف، لا شريك له، وهو على كل شيء قدير.

-وسبحانك الله وبحمدك، نشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك-

الفهرس

المقدمة	3
رسالة الشيخ "سليمان بن سحمان" - رحمه الله - [كلمات في بيان الطاغوت ووجوب اجتنابه]	6
رسالة الشيخ محمد بن ابراهيم-رحمه الله- " رسالة تحكيم القوانين"	10
رسالة الشيخ "ابن باز" " نقد القومية العربية على ضوء الإسلام والواقع"	16
رسالة الشيخ "سيد غباشي" [رسالة في حكم المشاركة في مجلس الشعب المصري]	42